جامعة الدكتور يحيى فارس

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم التاريخ

تحت عنوان

المقاربة في العمران الأندلسي والعثماني جامعا قرطبة والسليمانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص الدولة العثمانية

1453م 1924م

من إعداد الطالبة :

بوزكري هاجر

من إشراف الأستاذة :

د.كردين سهيلة

أ.د رشيد مياد	جامعة يحي فارس المدية	رئيسا
أ.د لطيفة حمصي	جامعة يحي فارس المدية	مناقشا
أ.د كردين سهيلة	جامعة يحي فارس المدية	مشرفا

السنة الجامعية

1445 1444 هـ 2024 2023م


بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والعرفان

الحمد لله الذي وهبني التوفيق والسداد ومنحني الثبات

وأعانني على إتمام هذا العمل بعد أن سافرت لأضع النقاط على

الحروف ونكشف ما وراء ستار العلم والمعرفة فها هي ثمار

جهدي قد أينعت وحان قطافها هذه الكلمات المبعثرة تهمس بها

في أذن كل من سيفتح هذه المذكرة

هي أيضا كلمات شكر إلى كل من حثنا وغرس فينا الأمل

والإرادة

إلى كل من الأستاذة المشرفة "كردين سهيلة" وجميع

الأستاذة إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد

إهداء

من قال أنا لها نالها

وإن أبت رغما عنها أتيت بها

لم تكن الرحلة قصيرة ولا الطريق محفوفا بالتسهيلات لكنني فعلتها فالحمد لله الذي يسر البدايات وبلغنا النهايات

أهدي هذا النجاح لنفسي الطموحة أولًا ، ابتدت بطموح وانتهت بنجاح ، ثم إلى كل من سعى معي لإتمام مسيرتي الجامعية .

إلى أعظم أشخاص وأعز الناس على روحي ، داعمي الأول ، سندي وملاذي بعد الله ،فخري واعتزازي ....أمي و أبي

إلى من دامت لي أياديهم وقت ضعفي ، إلى ضلعي الثابت وأمان قلبي

إخوتي .....فاطمة وبلال

إلى رمز البراءة .....لؤي لقمان رغد

إلى جميع رفقاء العمر .....شيماء سارة نسرين حبيبة

إلى كل من تسعهم ذاكرتي ولا تسعهم مذكرتي

قائمة المختصرات

تع	تعريب
تر	ترجمة
ص ص	صفحة
ط	طبعة
مج	مجلد
ج	الجزء
د، د ،ن	دون دار نشر
د،س	دون سنة نشر
د،ط	دون طبعة
تق	تقديم
ع	العدد

المقدمة

المقدمة:

إن العمارة الإسلامية تنطلق من واقعها الموحد المتنوع ،الذي لم ينقطع عن جذوره الأصيلة مرتبطًا بالتأثيرات الداخلية ،فلأنه استفاد من اطلال وبقايا العمارة التي سبقته ، فالسرعة والنجاح اللذان ظهر بهما طراز معماري إسلامي متميز ، ترجع في مقام الأول إلى الحاجة التي شعر بها العرب المسلمين إلى اظهار حقيقة الوجود الإسلامي في صورة مادية تختلف عما يحيط بها .

تتميز العمارة الإسلامية بهيئة إسلامية، وتعتبر هذه النقطة على جانب كبير من الأهمية عندما ندرس ونبحث في التراث الإسلامي ، حيث خلق الطراز المعماري في هيئة متميزة ثقافيًا وتصور بالنسبة لمؤرخ الإسلامي ما اختارته الثقافة الإسلامية وما رفضته ، مما نشأت لنفسها صورة خاصة .

وعليه جاءت العمارة الإسلامية نتيجة الاستجابة المتناغمة من قبل المصمم المسلم لمبادئ دينه ، فقد تأثرت تأثيرًا بفنون وعمائر الحضارات التي احتواها الإسلام فتلقتها بإبداع وعبقرية وقدمت منها جديدًا ، وعالجت فنونها بما يتفق مع روح الإسلام وفلسفته وتعاليمه ، حتى جاء فنًا معبرا ضمنيا وظاهريا عن الإسلام ، ومعبرا عنه في كل مكان وزمان .

فالعمارة الأسلامية تميزت بسعة انتشارها عبر الأقاليم والعصور وتنوع خصائصها إلا أنها توحدت وهذا راجع لأسباب دينية وأخرى متعلقة بالتقاليد والبيئة ، وأهم مايميز العمارة الإسلامية هو تداخل مكوناته وانسجام عناصره التي تظهر ككتلة متلاحمة الأجزاء في جوامعها إذ ترتفع مأذنها وقبابها إلى السماء باعتبارها العناصر المهيمنة في تكوينها .

وقد ظهر ذلك في الطراز المعماري الأندلسي وطراز المعماري العثماني حيث شهد نوعا من التناغم وانسجام في العناصر المعمارية لمعلمين إسلاميين "جامع قرطبة والسليمانية " بالرغم من أن كلاهما في حقبتين زمانيين مختلفين .

1. دواعي اختيار الموضوع :

هناك عدة أسباب دفعتني لإختيار الموضوع والتي اختلفت بين ذاتية وأخرى موضوعية وهي كالآتي :

أ. أسباب ذاتية :

الرغبة في دراسة الجانب المعماري والتعمق في حيثياته.

المساهمة في إثراء التاريخ الإسلامي بالجانب المعماري مع فتح أبواب البحث في هذا الجانب .

ميولي للفن الإسلامي ودراسته .

ب. أما عن الأسباب الموضوعية فتكمن في :

التعرف على العمارة الأسلامية في الحضاراتين الأندلسية والعثمانية .

التعرف عن العناصر المعمارية لجامع قرطبة والسليمانية .

محاولة تسليط الضوء عن نقاط التقارب بين الجامعان .

2. أهمية الدراسة :

توضح الدراسة على أن التاريخ لم يكن تاريخًا عسكريًا فحسب ، بل أكثر من ذلك في الجوانب الحضارية .

توضح الدراسة أهم الجوانب الحضارية الإسلامية ومدى التقارب بين الحضارتين .

3. الأشكالية :

لا يخلو أي بحث علمي من الأشكالية ولا يعد موضوعًا محل للدراسة لذلك تضمن هذا العمل من الإشكالية لنطرح التساؤل الآتي :

إلى أي مدى تقارب الطراز المعماري الأندلسي والطراز المعماري العثماني في كل من جامعا قرطبة و السليمانية ؟

4. الدراسات السابقة :

دراسة بشائر محمد إبراهيم حمادي جبوري {جمالية توظيف عناصر العمارة الإسلامية في الأندلس {مسجد قرطبة أنموذجا}

دراسة ناصر ثابت أحمد المغربي بعنوان { بنية الفراغ الداخلي في المساجد العثمانية ، حالة دراسية، مساجد المعمار سنان}

5. المنهج المتبع :

اعتمدت في دراستي للموضوع على المنهج التاريخي الوصفي المقارن بشقيه فالأول لوصف المنشآت المعمارية الإسلامية في الجامعان " قرطبة ، السليمانية " بشكل يسمح للقارئ أخذ صورة عليها ، أما الثاني من أجل دراسة مقارنة بين الجامعان في حضارتين مختلفتين وحقبة زمنية مختلفة .

6. الخطة المعتمدة في الدراسة :

بعد جمع المادة التاريخية تطرقت إلى وضع الخطة المقسمة على النحو الآتي :

المقدمة : تضمنت التعريف بالموضوع ودواعي اختيار الموضوع ، أهمية الدراسة ، الإشكالية ،المنهج المتبع، الخطة المتبعة ، ثم ذكر أهم المصادر والمراجع وأخيرا أهم الصعوبات التي واجهتني في الدراسة .

المبحث التمهيدي : تطرقت إلى تعريف العمران والعمارة الإسلامية ودراسة الطراز الأندلسي مع ذكر أهم المساجد فيه والطراز العثماني وأهم المساجد فيه .

المبحث الأول: خصصته لدراسة المعمارية جامع قرطبة وقسمته إلى ثلاثة مطالب ، الأول توسعات الجامع في عهد عبد الرحمن الداخل وخلفائه ، الثاني تناولت فيه العناصر المعمارية المزينة لجامع قرطبة وفي الأخير تطرقت إلى مراحل تحول المسجد الجامع إلى كاتدرائية .

المبحث الثاني : تمحور حول جامع السليمانية وهو بدوره قسمته إلى ثلاث مطالب الأول تكلمت فيه عن شخصية السلطان سليمان القانوني والمعماري سنان والثاني حول قصة بناء هذا الجامع أما الثالث فركزت فيه على دراسة العناصر المعمارية لجامع السليمانية .

المبحث الثالث : في هذا المبحث نقاط التقارب بين جامع قرطبة والسليمانية

لنختم عملنا هذا بخاتمة نجيب فيها عن الإشكالية المطروحة من خلال أهم النتائج التي توصلت إليها.

7. التعريف بأهم المصادر والمراجع :

اعتمدت لدراسة موضوعي على جملة من المصادر والمراجع نذكر على سبيل الذكر :

توفيق عبد الجواد ، العمارة الإسلامية فكر وحضارة ،تق:المهندس المعماري د:السيد كريم ،مكتبة الأنجلو المصرية ، ماي ، 1987م .

محمد عبد الله عنان ،الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ،ط2،مكتبة الغانجي ، القاهرة،1997م.

ارنست كونل ، الفن الإسلامي من العصر الأموي ، إلى العصر العثماني ، تر: د. أحمد موسى ، تق،مر: د. حسن عبد العزيز ، د.ط، وكالة الصحافة العربية، القاهرة ،2021م.

جورج مارسييه ، الفن الإسلامي ، تر: عبلة عبد الرازق ، مر: عاطف عبد السلام ، ط1، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ،2016م.

وديع أبو زيدون ، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي ، حتى سقوط الخلافة في قرطبة ،ط1، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2005.

محمد حرب ، العثمانيون في التاريخ والحضارة ، المركز المصري للدراسات العثمانية والبحوث العالم التركي ، القاهرة ،1994م.

د. الصفصافي أحمد المرسي ، استنبول عبق التاريخ .... روعة الحضارة ، ط1، دار الأفق العربية ، القاهرة ،1990م.

جان ألبجونج ، بصمات خالدة في التاريخ العثماني ، تر: عبير الشناوي ، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة ، 2015م.

8. صعوبات الدراسة :

لاتخلو أي دراسة من الصعوبات فبالنسبة إلى موضوعنا هذا فقد واجهت عدة عراقيل منها :

الشح في المعلومات وخاصة من الجانب المعماري .

المبحث التمهيدي : العمارة الإسلامية {الأندلسية العثمانية }

تعريف العمران لغة واصطلاحا

العمارة الإسلامية

الطراز الأندلسي

الطراز العثماني

المبحث التمهيدي: العمارة الإسلامية الأندلسية العثمانية

إن العمران أصدق ما يعبر به عن الحضارات الإنسانية في مختلف مراحل تطورها ، إنه الحضارة والمعبر عنها، لذلك لابد من الوقوف على مفهوم العمران لغة و اصطلاحًا .

أ لغة:كلمة العُمران لغة بضم العين أو عمارة بكسر العين ، فهو يعمره عمارة عمرانًا فهو عامر لمنزله ، ومنزله عامر به [1]،والعمارة بكسر العين تعني المبنى الكبير ،وهي جمع عمارات أي البنايات ،أما المعمار فهو كل بناء يتطلب الطلاء والزخرفة و التصميم الهندسي ،وكل اللواحق التي تدخل في إتمام البناء،وتختص به الهندسة المعمارية التي تجعل من عملية البناء فنًا هندسيًا وفق مجموعة من القواعد التي تنظم بواسطتها البناء ، وهو ما يعرف بالفن المعماري أي تشييد المنازل والمباني العمارة وغيرها ،والعمران هو كل بناء يعمر به البلد وما يتصل به من نشاط اقتصادي من تجارة أو صناعة ، ونشاط اجتماعي من مدارس ومساجد ومرافق عامة تعبر عن النشاط اليومي للإنسان .[2]

ب اصطلاحا :يعرفه ابن خلدون بأن العمران بأنه هو معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للسكن والمأوى للأبدان في المدن[3]، وهو تقنيات وتصاميم البناء التي تسمح للأفراد بأداء وظائفهم و تحسينها ، وصولًا لتحقيق الحاجات في إطار فضاء سكني هو المدينة التي تعبر بأشكالها المعمارية عن الهوية الحضارية للمجتمع [4].

تحتل العمارة الإسلامية مكانًا مرموقًا بين طرز العمارة التي عرفتها الحضارات الأخرى ، إذ انتشرت من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ،لتضيف طرزًا رفيعًا يليق بمقامها.

كانت العمارة الإسلامية تستلهم ثقافتها من مختلف العمارات ومختلف البيئات ولم تكتفي بثقافتها الأولى وحدها ،و أصبح لكل أثرها في عماراتها [5].

كما أن العمارة الإسلامية موحدة متشابهة الروح في أنحاء العالم الإسلامي من أواسط آسيا حتى شواطئ المحيط الأطلسي فقد حافظت الأجيال المتعاقبة على هذا الطابع وتلك الروح في مبنى واحد

---

[1] ابن المنظور جمال الدين أبو الفضل ، **لسان العرب** ،تح: عبد الله علي وآخرون ،المجلد الرابع ،د.ط، دار المعارف ،مصر ،د.س، ص 3101.

[2] أحمد مختار عمر ، **معجم اللغة العربية المعاصرة** ،ط1،عالم الكتب ،المجلد لثاني ،مصر القاهرة 2008 ص 1552.

[3]ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد ، **المقدمة** ، د.ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت لبنان 2001 ص 509.

[4]د.محمد عليلي ، **العمران الأندلسي في العصر الإسلامي الوسيط بين الإيحاءات الطبيعية والإبداعات الفنية المعمارية{العصر الأموي انموذجا }**مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية ،جامعة نواكشوط ،كلية الأداب والعلوم الإنسانية ،دار المنظومة 2021،ص 31.

[5]توفيق محمد عبد الجواد ، **العمارة الإسلامية فكر وحضارة** ،تق:د.سيد كريم ،د.ط،مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر 1987ص 18.

[1]. يعتبر فن العمارة مرآة تعكس قدرات العلمية وذوقها وفلسفة الشعوب فلقد كانت دائما الصورة الصادقة لحضارة الإنسان وتطوره[2].

مما لاشك في أن الإنسان منذ وجد على الأرض وهو دائب الجهد في تكييف الطبيعة حوله لملائمة حاجياته الجسدية و الروحانية ، وأنه كذلك بفطرته وحسه المرهف للجمال وعشقه الإبداع قد حاول أن يصوغ كل ما تشكله يداه في قالب فني ، يحيكه مرة صورة ومرة وتمثالًا ومرة كلمة ومرة نغمة ، ومعبرًا عن رغباته الكامنة على تلك الصور المختلفة التي تتباين تشكيلاتها على وفق قدرته الحل ومقدار تأثره بما حوله.[3]

نشأت العمارة الإسلامية كحرفة بسيطة في البناء ثم تطورت حتى أعطت مجموعة من الفنون المعمارية المختلفة [4] ، فمن نواة عمران إسلامي انطلقت من المسجد ، فهو يعد أول المعالم العمرانية التي كانت تتميز بها المدينة الإسلامية [5]،فنجد أول نشاط معماري في الدولة الإسلامية مع هجرة الرسول إلى المدينة المنورة ، حيث قام ببناء مسجد و منزله رغم بساطة هذا البناء إلا أن تصميم المسجد الأول كان الأساس ، وبعد وفاة الرسول الكريم بدأ عصر الخلفاء الراشدين ،حيث قام عمر بن الخطاب بتوسيع مساحة المسجد النبوي [6].

يتميز العمران الإسلامي بمجموعة من الخصائص لتعبر عن خصائص حضارية ذات أبعاد دينية التي تجسد الوحدة الروحية الإسلامية ، من خلال بناء مسجد جامع في وسطها حيث يعتبر القلب النابض في العصور الإسلامية الأولى ، فهو لم يكن يختص بالصلاة فقط ، بل كان مؤسسة جامعة للوظائف الدينية و الإجتماعية و السياسية و القضائية مثلما كان مسجد النبي إلا أنه حافظ على مكانته المقدسة ، فصار المسجد يتطلب وجود مدينة وليس العكس ، من ناحية أخرى فكان يتوجب على

---

[1]د.ثروت عكاشة ،**القيم الجمالية في العمارة الإسلامية** ،دار الشروق ،د.ط ،بيروت 1994ص 57.

[2]عمرو إسماعيل محمد ،**تخطيط المدن في العمارة الإسلامية فكر وفنون** ،دار الكتب المصرية ،د.ط ،الجيزة القاهرة 2019ص14.

[3]د.ثروت عكاشة ،المرجع السابق ،ص17.

[4]عمرو إسماعيل محمد ،المرجع السابق ،ص14.

[5]د.محمد عليلي ،المرجع السابق ،ص39.

[6]عمرو إسماعيل محمد ،المرجع السابق ،ص15.

الحاكم أن مقر حكمه في وسط المدينة قريبا من الجامع ، كما كان حال رسول وخلفائه الراشدين حتى يُشعر الناس أنه قائم بالدين والدنيا[1].

I. الطراز الأندلسي :

يتميز العمران الأندلسي بسحر مناظرها ومعالمها وآثارها التي تمنحها جمالًا و رونقًا لامثيل له كالمساجد وهذا راجع لتنوع حضارتها العريقة وثقافتها المتنوعة التي بقيت شاهدة على حضارة المسلمين الذين أبقوا بصماتهم واضحة في مختلف مساجد بالأندلس من أهم المساجد:

- **جامع قرطبة : لم يظهر تشييد المساجد الضخمة والقصور الشامخة لحكام المسلمين ، إلا بعد أن انتقلت الخلافة الإسلامية من المدينة إلى دمشق عام 661م ، على يد معاوية مؤسس الدولة الأموية ، فجعل دمشق عاصمة له ،أمر ببناء مساجد لا تقل فخامة عن المعابد الوثنية والكنائس المسيحية[2] ،وأن تكون له قصور لا تقل روعة عن بيزنطة ، كما قام باستقطاب مواد البناء والعمال و الفنيين من مختلف أنحاء العالم من السوريين والروم والفرس لتطبيق أصول الزخرفة وتطويرها على أساس المظهر الشرقي[3].**

بعد سقوط الدولة الأموية على يد العباسيين ، نزح المسلمين من شمال افريقيا وواصلوا السير إلى أن وصلوا إلى اسبانيا ، واستطاعوا انتزاعها من القوطيين لتصبح مقر للخلافة الأموية الجديدة ، واستطاع أحد أفراد الأسرة الحاكمة الأموية القديمة في دمشق في إقامة دولة جديدة ، واستطاع المهاجر عبد الرحمن الأول الاستقرار في مدينة قرطبة والتي أصبحت عاصمة لهم [4].

انتقلت العناصر الفنية الراسخة في المغرب الأقصى و اسبانيا وازدادت رسوخًا بعد قيام بدولة جديدة هناك ، واستمرت قرطبة بعد ذلك قرابة ثلاثمائة سنة محافظة على العناصر الدمشقية الأصل وابتكار آيات فنية أخرى[5] .

---

[1] د.محمد عليلي ، المرجع السابق ،ص40.

[3] أرنست كونل ، **الفن الإسلامي من العصر الأموي إلى العصر العثماني** ، تر:د.أحمد موسى ،تق،مر: د.حسن عبد العزيز ، د.ط، وكالة الصحافة العربية ، القاهرة ،2021،ص 20.

[4] جورج مارسييه ، **الفن الإسلامي** ، تر : عبلة عبد الرازق ،مر :عاطف عبد السلام ، ط 1 ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2016،ص 141.

[5] أكونل ، المرجع السابق ،ص 20.

كان المسجد الجامع في قرطبة إلى جانب كونه مكان عبادة فهو يعد مركزا فكريا انموذجا فريدا في فن العمارة الإسلامية ،إذ تبين من خلال بناء لهذا الجامع روح التجديد في العمارة الإسلامية وذلك من خلال إضافة لمسات معمارية جديدة تحاكي تطور الذي يشهده ذلك العصر .[1]

شهد جامع قرطبة عدة توسعات بداية بمؤسسها الأول عبد الرحمن الداخل (113 هـ 172 هـ _731 م 788م)جلب إليه الأعمدة الفخمة والرخام المموه ، ولكنه توفي قبل إتمامه ، فأتمه ولده هشام وأنشأ به منارته الأولى ، ثم أنشأ محمد بن عبد الرحمن مقصورة فخمة كانت الأولى من نوعها بمساجد الأندلس ، وجدد عبد الرحمن الناصر واجهة الجامع وهدم منارته القديمة ، وأنشأ مكانها منارة أخرى أرفع و أفخم وكانت منارة الناصر مربعة الواجهات لها أربعة عشر شباكًا ذات عقود ، وتحتوي على سلمين أحدهم للصعود الآخر للنزول وكانت إذا أرسلت الشمس أشعتها تكاد تخطف الأبصار ببريقها .

ثم زاد فيه ولده الحكم المستنصر زيادات كبيرة فابنى محراب الثالث واستغرق بناؤه أربعة أعوام ، وعملت له قبة فخمة ، زخرفة الفسيفساء بديعة ، واستقدم الحكم من قسطنطنية خبيرًا بأعمال الفسيفساء ، أنشأ أيضا مقصورة جديدة بها قبة على الطراز البيزنطي و بنى إلى جانب المسجد دارًا للصدقة ، أخرى للعمال المسجد ، وأخيرًا جاء حكم المنصور بن أبي عامر فزاد فيه من ناحيته الشرقية زيادة كبيرة و بذلك تضاعف حجم الجامع تقريبا ، وبلغ عدد سواريه ما بين صغيرة وكبيرة ألفا و أربعمائة وسبعة عشرة وبلغت ثرياته مائتين وثمانين.[2]

كانت وظيفة جامع قرطبة تتعدى الجانب الديني لتكون مركزًا سياسيًا وحضاريًا وثقافيًا أيضا، حيث تقوم لبعض مهام الكبرى فقد كانت تؤخذ فيه بيعة الأمير أو الخليفة الجديد و تقرأ الأوامر و الأحكام الخلافية وكان يعقد به مجلس قاضي القضاة ، فقد كان جامع قرطبة مركزًا لجامعة قرطبة الشهيرة و كانت تنظم أروقته حلقات الدراسات الرفيعة المختلفة التي جعلت من قرطبة خلال العصور الوسطى ، أعظم مركز للدراسات العلمية الممتازة في الغرب.[3]

---

[1] وديع أبو زيدون ، **تاريخ الاندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة** ، ط1،الأهلية للنشر والتوزيع ، الأردن ،عمان ،2005،ص 320.

[2] محمد عبد الله عنان ، **الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال** ،ط2 ،مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1997،ص 21، 22.

[3] المرجع نفسه ،ص22.

- **جامع باب المردوم {جامع طليطة}: يقع جامع باب المردوم في حي سان نيكولاس بمدينة طليطة في الأندلس ، أطلق هذا الاسم على المسجد الذي أقيمت عليه كنيسة الكريستو دي لالوث نسبة إلى باب مجاور له مازال قائمًا كان يعرف بالباب المردوم يعلو واجهة المسجد نقش تاريخي :{بسم الله الرحمن الرحيم أقام هذا المسجد أحمد بن حديد من ماله ابتغاء ثواب الله ، فتم بعون الله على يدي موسى بن علي البناء و سعادة، في المحرم سنة تسعين وثلاثمائة} يؤلف هذه الكتابة قطع من الآجر بارزة على سطح البناء .**

نظام البناء يشبه نظام الكنائس البيزنطية {الكريستو دي لالوث }إذ أن تصميمه يتخذ شكل الصليب الإغريقي، يتوسطه أسطوانة تعلوه قبة من حولها ثمانية أساطين مقببة ، يتألف المسجد من تسع أساطين تقسمها أربعة أعمدة تيجانها قوطية قديمة ، وتقوم عليها اثنا عشر عقدًا وتنفتح في الشمال الشرقي للمسجد ثلاثة عقود باللونان الأبيض و الأحمر نتيجة لتعاقب قوالب الحجر و الآجر على نفس نظام عقود المسجد الجامع بقرطبة ويحيط بكل عقد منها عقد زخرفي مثلث الفصوص ، الواجهة الجنوبية الغربية وهي الرئيسية فتطل على الطريق المؤدي إلى الباب المردوم بثلاثة عقود أخرى، ويتفق أسلوبه والتقاليد العراقية الفارسية ، ونظام التقبيب به قائم على تقاطع الضلوع المتجاوزة في صور مختلفة ، منها ما يمثل شكلا رباعيًا منحرفًا ذا أقطار بحيث يبدو كأنه قبوتان من الطراز القوطي ، والفارق بين قباب جامع قرطبة وطليطة هو أن هذه الأخيرة تصور اتجاهًا أكثر نحو الزخرفة وفن الهندسة وهما ما أولع بهما أهل الأندلس فلم يفكروا فيما يمكن أن تؤدي إليه هذه الابتكارات من ثورة هائلة في فن العمارة كما فكر فيها فنانو العمارة القوطية ، وزخارف المسجد الخارجية تذكرنا بزخارف المسجد الجامع بقرطبة في زيادة الحكم المستنصر سواء في تناوب الألوان أو في شكل العقود .[1]

II. الطراز العثماني :

بعد الانتصارات التي حققتها الدولة العثمانية على مدار ستة قرون ، لم تعتمد على الإنجازات العسكرية فحسب ، بل مزجت بين القوة والعلم والفن ، فالحضارة الإسلامية التي تميزت بها الدول العثمانية وصلتها إلى ذروة من التطور والإزدهار مما ذاع صيتها في ذلك الوقت .

[1]د.السيد عبد العزيز سالم ، **المساجد والقصور في الأندلس** ،د.ط، مؤسسة شباب الجامعة ، اسكندرية ، مصر ، 1986م، ص 33،34.

العمارة العثمانية عمارة امبراطورية ، شملت ثلاث قارات ، فأخذت من أوروبا ،آسيا و افريقيا [1]، حيث اخذوا من السلاجقة والبيزنطيين كل الأساليب المعمارية وأضافوا طرازهم الخاص[2].

اهتم السلاطين العثمانيين بالجانب العمراني ،قاموا ببناء المنشآت المعمارية فتنوعت بين عمائر دينية وعلمية نجد منها المدارس ، المساجد ،الكتاتيب والزوايا ومعاهد والعمائر المدنية شملت القصور ، الخانات ، الأسواق الكبيرة ، الحمامات ، دار الشفا و أيضا القلاع والحصون من العمائر العسكرية .

ازدهرت العمارة العثمانية في عهد التوسع والفتوحات ثم ادخلوا المعماريون أنماطًا معمارية من أوروبا الغربية ودمجوها مع النمط العثماني .[3]

تأثر النمط العمراني العثماني الأنماط الفارسية والبيزنطية والإسلامية فعلى سبيل المثال اقتبس العثمانيون القبة الفارسية من الفرس وأدخلوا عليها بعض التعديلات حتى أصبحت بارزة في معظم آثارهم المعمارية[4].

بعد فتح إسطنبول على يد محمد الفاتح عام 1453م ، ظهرت شخصيات تتلألأ في سماء الحضارة العثمانية بأسمائهم كثيرين منهم : المعمار خير الدين ، كمال الدين ، المعمار يعقوب شاه ، المعمار عجم علي ثم ظهر المعمار سنان الذي يعتبر من أعظم و أبرز الذين كونتهم الثقافة الإسلامية العثمانية[5].

سنحت الفرصة للمعمار سنان أن يطلع على الأعمال المعمارية من تراث الأمم الأخرى غير العثمانية من خلال مشاركته في الحروب مع حملات سلاطين في الشرق والغرب ، فكان يتجول من المساجد والكنائس إلى القصور متأملًا في روائع الفنون وخصائص الطرز المعمارية[6].

انطلق فن عمارة المساجد العثمانية من بورصة العاصمة الأولى للدولة العثمانية ، منتقلًا إلى مدينة أدرنة، ومن ثم مدينة إسطنبول (الأستانة) عاصمة الدولة العثمانية ، التي شهدت تطور هذا الفن

---

[1]ألبير أورتايلي ، **العثمانيون في ثلاث قارات** ،تر :عبد القادر عبد اللي ، ط1،الدار العربية للعلوم ناشرون ،لبنان ،بيروت ،2014م،ص51.

[2]فاطمة الزهراء العزاوي ، سمية شنتل ، **مدرسة الفن المعماري في الدولة العثمانية (مدرسة سنان باشا انموذجا)**مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الدولة العثمانية ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة د.يحي فارس 2019،2020،ص23.

[3]سامي بن عبد الله المغلوث ، **أطلس تاريخ الدولة العثمانية** ،ط1،مكتبة الامام الذهبي ، الكويت ،2014،ص774.

[4]المرجع نفسه ،ص774.

[5]محمد حرب ، **العثمانيون في التاريخ والحضارة** ، د.ط ،المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي ، القاهرة ،1994،ص157.

[6]المرجع نفسه ، ص 159.

المعماري الثري الذي مر بمراحل عدة لتصل إلى ذروة مجدها في عهد المعماري سنان ، بعد أن منحها هوية معمارية خاصة تميزت بها عن سائر أنماط العمارة الأخرى في العالم الإسلامي[1] .

من المعلوم أن الدولة العثمانية كانت دولة إسلامية ، وكانت تطبق بصفتها الأحكام الشرعية في نظامها الإداري و الاجتماعي ، لذلك نلاحظ أنها اهتمت بإنشاء الأوقاف[2]، وتشير الإحصائيات أن ثلث الأراضي في تركيا كانت وقفًا ، خصصت منها في بناء المؤسسات الدينية ، إذ تعتبر الوقف مزيج بين السلاجقة والبيزنطة حيث عملت الدولة العثمانية على تطويره في إطار الثقافة والقيم الدينية[3].

تأزمت الحركة المعمارية بالرغم من أعمال السلطان بايزيد وسليم الأول ،وكان لابد من ظهور مهندس معماري عبقري يحمل على عاتقه عوامل إخراجها من هذا المأزق ، فسطع نجمه في عهد السلطان سليمان القانوني وحظي بتقدير السلطان حيث أقام جسرًا فوق نهر بروت في ظرف ثلاثة عشر يومًا ، ثم بنى جسرًا آخر عبر نهر الدانوب هكذا كان اختياره كبيرًا للمهندسيين[4] .

من أهم المساجد التي شيدها المعماري سنان بداية بالمسجد شاه زاده عام 1544م واستغرق العمل فيه أربع سنوات ، وقد عمد سنان في تنفيذه لهذا المشروع إلى أسلوب جديد بالكامل جعله يقيم منشآت معمارية ضخمة رائعة بأسلوب خاص به هو [5].

جاء قرار بناء هذا المسجد بعد وفاة ولد السلطان القانوني "شاه زاده محمد" في الخامس من نوفمبر عام 1543م على إثر مرض مزمن وتقرر تسميته على اسم ولده ، يتوسط هذا الجامع بين مسجدي "آيا صوفيا " و"الفاتح" أصفى جمالًا بارعًا و رونقًا خاصًا[6] .

---

[1]سامي بن عبد الله المغلوث ، المرجع السابق ، ص776.

[2]الأوقاف: الوقف :هو وضع ملك من قبل صاحبه في استفادة الناس ابتغاء مرضاة الله ، وهو مؤسسة إسلامية تهدف إلى التعاون والتضامن ومساعدة الآخرين . هدير صلاح أحمد شهاب ، **الأوقاف في الدولة العثمانية من خلال كتاب نظارة الأوقاف السلطانية للكاتب التركي المعاصر سيد علي قهرمان** ، مجلة كلية الأداب ، العدد 39

[3]المرجع نفسه ،ص154.

[4]د. الصفصافي أحمد المرسى ، **استبول عبق التاريخ ...روعة الحضارة** ، ط1، دار الأفاق العربية ، القاهرة ، 1990م ، ص106.

[5]المرجع نفسه ، ص107.

[6]جان البجونج ، **بصمات جالدة في التاريخ العثماني** ، تر: عبير الشناوي ، دار النيل للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2015م ، ص 105.

أكثر سمة تلفت الانتباه في جامع "شاه زاده" أنه من طرز القباب الدائرية التي يكمل بعضهما البعض والتي تعرف في الآثار العثمانية القديمة إلى أن جاء سنان وطور فن العمارة والبناء حيث بلغت تكلفته خمسة عشر مليون آقجة [1].[2]

ثاني أعمال للمعماري سنان هو بناء مسجد السليمانية في إسطنبول بين 1554م1557م تقرر تأسيس هذا المسجد عند رؤية السلطان القانوني للنبي في منامه ، وقد أشار له الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المكان الذي سيتم بناء المسجد فيه ، وقال له :"ليتم وضع المحراب هنا والمنبر هنا والكرسي هنا " استيقظ القانوني من نومه وهو في غاية الفرح ، فشكر الله تعالى وعيناه تفيضان بالدمع ، وأمر باستدعاء المعماري سنان إلى المكان ، وقال له :"أريد أن ابني جامعًا هنا " وبعدها تم الشروع في البناء [3].

استمد المعماري سنان الوحي في تخطيطه للجامع من مسجد آيا صوفيا ، ركز سنان في جامع السليمانية على كل أساليب عصره ليبرز تأثير المكان الداخلي قويًا بأكثر مما فعل من قبل في جامع شاه زاده ،أما عن المآذن الجامع فنقول أن في الجامع أربعة مآذن كل منها في زاوية من زواياه ترمز إلى أن السلطان سليمان القانوني هو رابع السلاطين العثمانيين منذ فتح إسطنبول ، كذلك عشر شرفات ترمز إلى أن السلطان القانوني هو عاشر سلاطين آل عثمان منذ عثمان مؤسس الدولة العثمانية ، يتكون مجمع السليمانية على جامع السليمانية ، أربع مدارس ، كتاب الصبيان ، حمام السليمانية ، دار الشفا ، كذلك ضريح السلطان سليمان القانوني وحرمه وكذلك ضريح المعمار سنان[4] .

وأخيرًا جامع السليمية بأدرنة وقد بناه على أمر من السلطان سليم الثاني الذي خلف والده سليمان القانوني في حكم الدولة العثمانية ، بدأ سنان بناء الجامع عام 1568م يضم الجامع قبة عظيمة تقف

---

[1] آقجة :تعني قطعة صغيرة من الفضة ، ضربت أول مرة في عهد السلطان أورخان ، وكانت تلك النقود التي ضربها العثمانيون تحمل على وجهها الأول كلمة الشهادة ، في حين تحمل على الوجه الثاني اسم الأمير "أورخان".د.سهيل صبان ،**المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية** ،مر: د.عبد الرازق محمد حسن بركات ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ،2000م،ص20.

[2] جان البجونج، المرجع السابق ،ص105.

[3] عثمان نوري طوباش ، **العثمانيون رجالهم العظام و مؤسساتهم الشامخة** ،تر:د.محمد حرب ،مر:محمد أوقومش ، د.ط، دار الأرقم،إسطنبول ،2016م،ص443،444.

[4] محمد حرب ، المرجع السابق ،ص164،165.

وكأنها معلقة فوق وحدات كروية ومستوية ، تفتح على الخارج بنوافذ متعددة وتحيط بها أبراج صغيرة ، كما نرى أربع مآذن رشيقة تحيط بتلك الكتلة و تزيد أكثر و أكثر من هيبة وعظمة المسجد[1].

ولا يوجد في العالم مئذنة أعلى من مئذنة جامع السليمية ،كذلك منبر الجامع وميضآته من الرخام ،وقد استخدم سنان الخزف في الجامع استخدامًا فنيًا باهرًا ، يتكون جامع السليمية من عدة مباني : الكتاب ، دار القراء ، دار الحديث ، مدرسة[2]

[1]اكمل الدين احسان أغلو ، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة** ،تر :صالح سعداوي ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، إسطنبول ، 1999،ص 712.

[2]محمد حرب ، المرجع السابق ،ص166.

المبحث الأول : جامع قرطبة

المطلب الأول : توسعات في عهد الخليفة عبد الرحمن الداخل وخلفائه.

المطلب الثاني : العناصر المعمارية المزينة لجامع قرطبة .

المطلب الثالث : تحول من جامع إلى كاتدرائية .

المبحث الأول :جامع قرطبة

يعود تاريخ بناء المسجد الجامع قرطبة إلى جذور متأصلة في رحاب ذاكرة المكان إلى حلقات مفصلية انطلقت بداياتها الأولى بعد الفتح الإسلامي للأندلس[1] ، حين شاطروا المسيحين في بداية أمرهم في بناء كنيستهم العظمى ، فاتخذوا شطرًا منها كنيسة وظل شطر الثاني مسجدًا كما هو لممارسة شعائرهم الدينية، لذلك عندما آل الأمر إلى عبد الرحمن الداخل واستقرت له الأمور فكر في إقامة مسجد وضع حجر الأساس في عام 788م ،فأصبح مسجد جامع يضاهي المسجد الكبير بدمشق ببهائه ورونقه ، فيعتبر آية من آيات الفن ، وروعة من روائع الزمن ، فاقت المساجد الإسلامية والكنائس العظمى ، هنا تجلت قدرة ودهاء المسلمين العرب في تشييد المساجد [2].

بدأ مسلمو قرطبة بتزايد مستمر نتيجة الهجرة ودخول الإسلام ، حيث شهدت المدينة نموًا سريعًا في عدد المسلمين وانتشار الإسلام بين سكانها ، هنا أضحى المسجد الكبير غير كافي لإستيعاب المصليين ، لذلك لجأ عبد الرحمن الأول[3] إلى التفاوض مع المسيحيين من أجل بيع الجزء الذي كان مخصصًا للكنيسة القوطية المجاورة للمسجد وبعد مفاوضات كبيرة وبدفع مبلغ ضخم مع إعطائهم تصريح بموجبه إعادة بناء دور العبادة المتهدمة خارج المدينة ،وتمكن من أن يحصل على المكان عام 785م[4]، بدأ بناء هذا المسجد في عهد عبد الرحمن بن معاوية ، ولكنه لم يكمل بناؤه خلال فترة حكمه ، وإنما أكمله ابنه هشام بن عبد الرحمن فيما بعد ، توالى الخلفاء من بني أمية على تجديد

---

[1]د.ميمون الموساوي ،**من تجليات الهندسة المعمارية لمسجد قرطبة** ، ع:10،كلية العلوم الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة عبد المالك سعدي ، تطوان ، المغرب ، 2010،ص3.

[2]د.جودة هلال ،محمد محمود صبح ، **قرطبة في التاريخ الإسلامي** ، د.ط،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ، 2001،ص33.

[3]عبد الرحمن الأول:هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، الملقب بصقر قريش ويعرف بالداخل الأموي ،مؤسس الدولة الأموية في الأندلس وأحد عظماء العالم ولد في دمشق ونشأ يتيمًا ، فتربى في بيت الخلافة وتعقب العباسيون رجالهم بالفتك والأسر ،أفلت عبد الرحمن وأقام في قرية على الفرات ، فتبعه الخيل ، فأوى إلى بعض الأدغال حتى أمن ، فقصد المغرب فبلغ إفريقية ، فلج عاملها "عبد الرحمن بن حبيب الفهري " بطلبه فانصرف إلى مكناسة وقد لحق به مولاه "بدر"بنفقة وجواهر كان قد طلبها من أخت تدعى له "أم الأصبع"ثم تحول إلى منازل نفزاوة وهم جيل من بربر فأقام مدة يكاتب من في الأندلس من الأمويين ، وبعث إليهم بدرًا مولاه ، فأجابوه وسيروا لهم مركبًا فيه جماعة من كبائرهم ، فأبلغوه طاعتهم له وعادوا به إلى الأندلس فأرسى بهم مركبهم ،وانتقلوا إلى إشبيلية ، ومنها إلى قرطبة فقاتلهم والي الأندلس فظفر عبد الرحمن الأموي ،دخل قرطبة واستقر بها وبنى فيها القصر وعدة مساجد .ينظر :خير الدين الزركلي ، **الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال ونساء العرب والمستعربين والمستشرقين** ،ج3،ط15،دار العلم للملايين ،بيروت، ماي 2002م،ص338.

[4]ليوبولدو توريس بلباس،**تاريخ إسبانيا الإسلامية** ،تر:علي عبد الرؤوف البمبي ،مر:صلاح فضل،مج2،ط1،المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة،2002،ص29،30.

وتوسيع هذا المسجد مما جعله يشهد تحولات وتوسعات عدة على مر الزمن ، حتى أصبح أحد أبرز المعالم الإسلامية في العالم الغربي في ذلك الوقت ، يقول المقري في كتابه "نفح الطيب" بأن لما استقر استقر عبد الرحمن أمره ، بنى القصر بقرطبة وبنى مسجد الجامع وأنفق عليه ثمانين ألف دينار وبنى بقرطبة الرَّصافة تشبيهًا برصافة جده هشام بدمشق[1].

I. توسيعات عبد الرحمن الداخل وخلفائه :

- عهد فترة عبد الرحمن الداخل : إنقسم هذا الجامع الذي بناه عبد الرحمن الداخل إلى قسمين : قسم مسقوف هو بيت الصلاة ، وقسم مكشوف هو الفناء أو الصحن ، وكان بيت الصلاة في هذا المسجد يشتمل على تسع بلاطات تتجه عموديا على جدار القبلة ممتدة على اثنا عشر قوسا في كل بلاط ، إذ أصبحت البلاطات العمودية على جدار القبلة من اخص مميزات المساجد الأندلسية في العصور المختلفة[2]، وكان البلاط الأوسط أكثر اتساعا من البلاطات الجانبية ، يبلغ طول بيت الصلاة من الشرق إلى الغرب 62مترا وعرضه من الشمال إلى الجنوب 38مترا،أما الصحن فكان عرضه من الشمال إلى الجنوب 36مترا، كانت بنية المساجد ضعيفة لتعدد بلاطاتها وتفصل بينها صفوف من العقود القائمة على دعائم قطاعها صغير للغاية حتى لاتشغل حيزا كبيرا في بيت الصلاة ، فيتسع للعدد من المصليين ولما كانت الجدران الحاملة لأسقف الجامع تتكئ على العقود القائمة على هذه الدعائم لذلك فإن أي اختلال في استقرار الدعائم يسبب مباشر هدم الأسقف وتجنبا لذلك وضع مهندسو المساجد أوتار خشبية تندمج أطرافها في الحدائر التي تنبت منها العقود كما هو الحال في جامع القيروان وجامع سوسة[3].

تعرضت الأعمدة الخشبية لتأثيرات الجوية والزمنية على مر العقود مما أثر بشكل سلبي على مظهرها العام وعلى قيمتها التاريخية ،ففكر مهندس جامع قرطبة برفع الحدائر التي تنبت منها العقود الحاملة لأسقف كذلك أبدل الأوتار الخشبية التي تربط العمد عقودا هوائية على شكل حدوة الفرس وبذلك تمكن المهندس من احداث تأثير جمالي لم يكلفه أكثر من إستبدال العقود الهوائية بالأوتار الخشبية ،ورفع السقف المسجد عن طريق الدعائم

---

[1] المقري ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ،تح:إحسان عباس ،ج1،دار صادر ، 1988،بيروت ، ص562.

[2] الإدريسي ،**نزهة المشتاق في اختراق الأفاق** ،مج1،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،2002،ص153.

[3] السيد عبد العزيز سالم،**قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس** ،ج1،مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ،1997،ص316.

ولم يقنع المهندس بهذا التأثير حيث أضفى مظهر زخرفي بسيط بتناوب بين اللونين الأحمر والأصفر الشاحب نتيجة تناوب الحجارة والآجر[1] .

- **عهد الأمير هشام : بعد أن وفته المنية لعبد الرحمن الداخل استكمل ابنه هشام ما توقف عنده أبيه ،حيث قام بزيادة صومعة بلغ ارتفاعها أربعين ذراعًا إلى موضع الأذان أي ما يقارب عشرين مترًا، وبنى بآخر المسجد سقائف لصلاة النساء وأمر ببناء الميضأ بشرقي الجامع ، و أقام الجامع على هيئته تلك إلى أيام عبد الرحمن بن الحكم ، وقد اهتدى دون فيليث هرنانديث مهندس الجامع إلى الموضع الذي كانت تقوم عليه الصومعة وأجرى فيه حفائر أثرية أسفرت عن كشف أساس قاعدتها المربعة وطولها ستة أمتار[2].**
- **عهد عبد الرحمن الأوسط: تولى الإمارة عبد الرحمن بن الحكم بعد أبيه وقام بتوسيع المسجد بعد أن تكاثرت الناس في عهده وانتابوها من كل أوب كانت تسع بلاطات للمسجد فأنشأ بلاطين ممتدين معها فأصبح أحد عشر بلاط ثم أوصل هذين البلاطين في سقيفتين يحفان بصحن المسجد من الشرق الغرب وكل سقيفة تقوم على تسع عشر سارية ، أما الزيادة الثانية قام بفتح بابا في جدار الشرقي والغربي ، الباب الغربي منها هو الباب المعروف بباب الوزراء {سان استبيان }وفتح في جداريها الشرقي والغربي بابين آخرين يعرف الغربي منها اليوم بباب {سان منجل }وكان يعرف في العصر الأسلامي بباب الأمير ،أما البابان الشرقيان فقد هدما عند شروع ابن عامر في زيادته كما أضاف الزخارف في بناءه كما أضاف الأمير المنذر بن محمد البيت المعروف بالبيت المال في الجامع ووضع فيها أموال الموقفة لغياب المسلمين وكان يشبه بيت المال الذي في دمشق [3].**
- **عهد عبد الرحمن الناصر :بعد زيادات التي قام بها هشام وعبد الرحمن الأوسط أصدر الناصر أوامره بهدم المنارة التي أقامها هشام الأول وفي الحال تم بناء المئذنة الجديدة وكما يذكر ابن عذاري أن المئذنة قد استغرق بناؤها ثلاثة عشر شهرًا أي بدأت الأعمال في ربيع الثاني[4] .**

---

[1] السيد عبد العزيز سالم ،المرجع السابق ،ص 317.

[2] السيد عبد العزيز سالم ،**المساجد والقصور في الأندلس** ،د.ط، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ،1986،ص16.

[3] السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ،ص19.

[4] ابن العذاري المراكشي ،**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ،تح و مر : ج.س .كولان و إليفي بروفنسال ،ج1،دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان ،1971،ص246.

قامت المئذنة ملاصقة للسور الشمالي للصحن المسجد وذلك يمكن فتح باب المئذنة يؤدي إلى الصحن وهو الباب الذي سمي حديثا باسم لاس بلماس ، أقيمت المئذنة على سطح مربع ، يصل طول ضلعه إلى 8مترا وبلغ ارتفاعها 22مترا ، بنيت من حجارة كبيرة استخدمت حجارة متعددة الأحجام ، استخدم الجص في وصل الحجارة ببعضها البعض ، وفتحت تجويفات في الحجارة على مسافات متساوية وذلك حتى يمكن إدخال بعض من القرميد في الجدران وقد وضعت قطع القرميد الخشبية في صورة أفقية والتي تأكلت في يومنا هذا ، وهي طريقة قديمة جدا كانت تستخدم في المشرق الإسلامي وكان الهدف منها إحداث نوع من التماسك بين وحدات البناء ، والجدران ،وتقليل آثار الرواسب المحتملة[1] .

ولم تقتصر أعمال عبد الرحمن الناصر على هذا الحد ،فقد كان جدار واجهة بيت الصلاة قد تصدع بسبب الدفع المستمر الذي تقوم به العقود ،فقام بترميمه وبنى واجهة أخرى ملتصقة بالجدار القديم و أصلح باب سان استبيان وعلى هذه الواجهة بجوار المدخل إلى البلاط الأوسط نقش تاريخي فيه "بسملة....أمر عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين الناصر لدين الله أطال الله بقاه ببنيان هذا الوجه أحكام اتقانه تعظيمًا لشعائر الله ومحافظة على حرم بيوته التي أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، ولما دعاه على ذلك من تقبل عظيم الأجر وجزيل الذخر مع بقاء شرف الأثر وحسن الذكر فتم ذلك بعون الله في شهر ذي الحجة سنة ست وأربعين وثلثمائة على يدي مولاه ووزيره وصاحب مبانيه عبد الله بن بدر عمل سعيد بن أيوب "[2]

كما قام بتوسعة صحن المسجد كما أمر بوضع ظلة تكون مهمتها وقاية المصلين الذين لا يجدون لهم مكانًا ببيت الصلاة وخاصة في فصل الصيف[3] .

[1]ليوبولدو توريس بلباس ، المرجع السابق ،ص159.

[2]السيد عبد العزيز سالم ،المرجع السابق ،ص22،23 .

[3]ليوبولدو توريس بلباس ، المرجع السابق ،ص169.

- **عهد الحكم المستنصر :اهتم الخليفة المستنصر بتوسيع بيت الصلاة بمد جميع البلاطات جنوبًا على اثني عشر عقدًا وأقام على مدخل البلاط الأوسط قبة كبيرة مخرمة يبدو أن الغرض منها كان لإدخال الضوء كما أقام قبة أخرى عليه في أسطوان[1]المحراب وأحاط هذه القبة الأخيرة بقبتين جانبيتين ،وقد قلد مهندس الحكم في نظام هذه الزيادة نظام المسجد الجامع بالقيروان وجامع الزيتونة بتونس فنلاحظ فيهما نظام الأوسط الذي تعلو مدخله قبة البهو ،وحسب ماجاء به الكاتب عبد العزيز سالم في كتابه المساجد والقصور في الأندلس بأن زيادة المستنصر أضافت لجامع تناسق وعظمة وذلك بإقامة المقصورة وتتويجها بثلاث قباب وتوسط المحراب واجهة المقصورة بحيث يكتنفه عقدان متماثلان الأيمن يؤدى إلى الساباط[2] و الأيسر يفضى إلى مخزن الجامع [3] أراد المستنصر تصويب الخطأ القبلة بعد أن كانت متجهة نحو الغرب وعند بدء في التوسعة قام مهندسو الجامع بوضع المحراب الجديد نحو الكعبة بدقة ،كما أمر بوضع المنبر القديم بجوار المحراب والمقصورة وهي مصنوعة من الخشب المشغول وتبلغ أبعاده 75ذراعًا من الشرق إلى الغرب وكان ختام تلك الأعمال إنشاء قنوات لنقل المياه من الجبال إلى مستودعات المياه الخاصة بالمسجد[4].**
- **عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر: شرع المنصور في زيادته بالجامع وذلك بإضافة ثماني بلاطات على طوله كله من جهته الشرقية ودام هذه الزيادة حوالي سنتين ونصف ،كما أحضر أعلاج النصارى مصفدين في الحديد في أرض قشتالة وغيرها وأن زيادة ابن أبي عامر من تراب نقله النصارى على رؤوسهم مما هدم من كنائس بلادهم و ثريات الجامع من نواقيس النصارى ، وأصبح للمسجد بعد زيادة المنصور تسعة عشر بلاطًا ، وفتح المنصور ثمانية أبواب في جدار الشرقي للمسجد بصورته النهائية وهو نفس عدد الأبواب النافذة إلى بيت الصلاة في الجدار الغربي فأصبح لبيت الصلاة ستة عشر بابًا يضاف إليها بابان جانبيان ينفذان إلى الصحن ، وثلاثة أبواب في الجدار الشمالي وجميع**

---

[1]أسطوان:هو عمود ذو البدن الدائري قطعة واحدة من الحجر الرخام وطبقا للتعريف المعماري هو جسم إسطواني الشكل من حجر أو رخام أو آجر أو أي مادة أخرى صالحة للبناء وقيل أنه حاجز مفرغ يفصل بين ممر ومساحة أخرى داخل البناء تحدها أربعة أعمدة فيما يسميه الآثاريون بالبلاطة.ينظر:عاصم رزق ،**معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية** ،ط1،مكتبة مدبولي ،د.ب.ن،2000،ص17.

[2]الساباط :هو عبارة عن سقيفة بين دارين أو بناءين أو حائطين تحتها ممر أو طريق ، ومن أقدم أمثلته في العمارة الإسلامية عامة الساباط الذي كان بين قصر قرطبة ومسجدها والساباط الذي كان بين قصر الزهراء ومسجدها وقد ورد هذا المصطلح في وثائق العصر المملوكي بعدة صيغ منها "ساباط بداير الفندق محمول على أعمدة معلقة "،"ساباط مفروش بالبلاط مسقف"،"ساباط معقود".ينظر : عاصم رزق ،المرجع السابق ،صا136.

[3]السيد عبد العزيز سالم ،المرجع السابق ،ص23.

[4]ليوبولدو توريس بلباس ،المرجع السابق ،ص179.

هذه الأبواب ملبسة بالنحاس الأصفر مخرمة تخريمًا عجيبًا بديعًا يعجز البشر ويبهرهم ، وفي كل باب حلقة في نهاية الصنعة والحكمة [1].

[1]السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ،ص26،27، 28.

II. العناصر المعمارية المزينة لمسجد جامع قرطبة :

يعتبر مسجد جامع قرطبة من أشهر المساجد الإسلام الجامعة في المغرب والأندلس والذي يعد موضع تعظيم وإجلال لأهل الأندلس، يقول الحميري في كتابه {صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار} "المسجد الجامع المشهور أمره ، الشائع ذكره ،من أجل مصانع الدنيا كبر المساحة ، وإحكام الصنعة ، وجمال الهيئة ، واتقان بنية ،تهمم به الخلفاء المروانيون فزادوا فيه زيادة بعد زيادة ، وتنميما اثر تنميم ، حتى بلغ الغاية في الإتقان ، فصار يحار فيه الطرف ، ويعجز عن حسنه الوصف "[1] .

يقع هذا الجامع على امتداد الواجهة الشرقية للقصر الخلافي وإلى شمال قنطرة قرطبة ويفصل بينه وبين القصر طريق ،يشغل هذا الصرح الديني مسطحًا كبيرًا يبلغ طوله مائة وثمانين مترًا ، وعرضه مائة وخمسة وثلاثين وبهذا تبلغ مساحته 24300 مترًا مربعا ، ويدخل في ذلك صحنه المكشوف الواقع في شماله والذي يعرف اليوم بفناء النارنج أو البرتقال وهو فناء شاسع مستطيل يكاد يبلغ ثلث رقعته وهو أندلسي المظهر ، بمعالمه وأوضاعه ونوافيره وأشجاره [2].

أما محرابه يبلغ طوله من القبلة إلى الجوف ثمانية أذرع [3]ونصف ، وارتفاع قبوه ثلاثة عشر ذراعا ونصف ذراع ، وسقف القبو من رخامة بيضاء منقورة بالحديد وهو مثمن البنيان من داخله ، مكسوة جوانبه بثمانية ألواح من الرخام طول كل لوح منها ثمانية أذرع وعرض ستة أشبار وعرض اللوحين الباقين ثلاثة أشبار إلى موضع الرف المستدير على رؤوس الألواح المعمول بالرخام وأرضه مفروشة بالرخام الأبيض في عتبة بابه لوح رخام أبيض طوله اثنا عشرا شبرًا ، وعرضه أربعة أشبار وجدار المحراب ومايليه قد أجرى فيه الذهب على الفسيفساء[4].

---

[1] ابي عبد الله الحميري ، **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار** ،ط2،دار البديل ،بيروت لبنان ،1988م، ص153.

[2] السيد عبد العزيز سالم ، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس** ،ص195.

[3] ذراع :هو ما استخدم في القياس منذ القدم ، واختلف طوله من عصر إلى عصر و من مكان إلى مكان ، وكان أول استخدام له لقياس الأراضي في الدولة الإسلامية خلال العصر الأموي .ينظر :عاصم محمد رزق ، المعجم السابق ،ص114.

[4] لطفي عبد البديع ، **قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب مجلة معهد المخطوطات العربية** ،مج1،ج1،مايو ،د.د.ن، د.ب.ن،1955،ص297.

فمقصورته طولها من القبلة إلى الجوف ستة وخمسون ذراعا وعرضها من الشرق إلى الغرب أربعة وعشرون ذراعًا ، وكان بابها من ذهب مضروب ، وعضادتاه عودان من أبنوس [1]، طوله وأوصاله من فضة، أما بالنسبة لمنبره عود مؤلف من الصندل الأحمر والأصفر والأبنوس والعود الرطب والمرجان ، وأوصاله من فضة ، ارتفاعه تسع درجات ، سعته أربعة أشبار ونصف شبر ، والذراعان الممتدان على جانبيه من أعلى الأدراج إلى أسفلها من أبنوس طول كل ذراع منهما ثمانية عشرا شبرًا[2] .

كان المسجد الجامع يحتوي على أسقف الافقية التي تتكون من لوحات خشبية مثبتة على عوارض تمتد عرضا بأعلى البلاطات ، ثم تعلوها بامتداد البلاطات أسطح منشورية الشكل مكسوة بالقراميد ، ولقد أزيلت هذه الأسقف الخشبية فيما بين عامي 1713م 1723 م لتآكلها وأقيم في مكانها قبوات متعارضة خفيفة ويرجع سبب تآكلها إلى عدم عناية بنظام صرف المياه من القنوات الموجودة بين الأسطح، ويبدو أن كمية من مياه الأمطار تسربت إلى السقف الخشبي فتلف جانب منه في سنة 1221م مما دعا إلى إصلاحها [3].

أما القباب فحرص مهندسو الجامع على إيجاد بلاط عرضي يمتد بحذاء جدار القبلة فأقاموا أسطوان المحراب قبة قائمة على هيكل الضلوع البارزة المتقاطعة فيما بينها ثم حوطها بقبتين جانبيتين ، واستكمالا للتناسق وانسجام الذي املاه وجود بابين معقودين على جانبي المحراب بعقدين مماثلين لعقد المحراب ، ويواصل مهندسو الحكم اضفاء مظهر التناسق الذي طبقوه على اسكوب المحراب بإقامة قبة الضوء أو القبة المخرمة الكبرى على مدخل البلاط الأوسط والظاهر أنها سميت بقبة الضوء لتعدد نوافذها المفتوحة ويبلغ عدد نوافذها 16نافذة[4]، وتقوم القباب على عقود نصف دائرية بارزة تتقاطع فيما بينها اشكالا نجمية مضلعة مع ترك فراغ في الوسط مثمن الشكل في القباب الثلاث المتجاورة بالمقصورة ومربع الشكل في قبة الضوء تشغله قبيبة مفصصة ، ويغطي الفراغات الواقعة بين العقود المتقاطعة و المتخلفة من التقاطع ، وتطبق في هذه الفراغات في جميع القباب باستثناء قبة

[1] الأبنوس : هو شجر ينبت في الحبشة و الهند وسريلانكا خشبه أسود صلب ويصنع منه بعض الأدوات والأواني والأثاث والتحف الفخمة ينظر:عاصم رزق ، المعجم السابق ،ص24.

[2] المرجع السابق ،ص278.

[3] السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص379.

[4] المرجع نفسه، ص386.

المحراب التي كسيت بالفسيفساء وزخارف نباتية بارزة و أشكال نجمية وصور مصغرة لقبيبات دقيقة قائمة على الضلوع [1].

وارتفاع الصومعة اليوم ثلاثة وسبعون ذراعا إلى أعلى القبة المفتحة التي يستدير فيها المؤذنون ، وأرؤس هذه القبة تفاح الذهب وفضة وارتفاعها إلى مكان الأذان أربع وخمسون ذراعا ، وطول حائط من حيطاتها على الأرض ثماني عشرة ذراعا [2].

وقد وصف الحميري في كتابه {صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار} لقوله" وللجامع في الجهة الشمالية الصومعة الغريبة الصنعة ، الجليلة الأعمال ، الرائقة الشكل والمثال ، ارتفاعها في الهواء مائة ذراع ويصعد إلى أعلى هذا المنار بمدرجين ، أحدهما من الجانب الغربي والثاني من الشرقي ،إذا افترق الصاعدان أسفل الصومعة لم يجتمعا إلا إذا وصلا الأعلى ،ووجه الصومعة منقوش من وجه الأرض إلى أعلى الصومعة بصنعة تحتوي على أنواع التزويق والكتابة "[3].

كان يحيط بالجامع سور يتراوح ارتفاعه مابين مترين وثلاثة أمتار، وكان يمتد في شكل مستطيل من الشمال إلى الجنوب ،وقد توجته شرفات عالية ؛وكان المصلون يدخلون الجامع من واحد وعشرين بابًا زينت جميعًا بالنحاس الأصفر المخرم وكانت النوافذ والكوى[4] التي تشبه المحاريب القائمة إلى جنباتها والحائط التي تشبه الأبراج تزين واجهة الجامع ، والواقع أن عدد قليلاً من أبواب الجامع خصص للنساء ؛وكان في وسطها حوض قامت حوله أعمدة تحمل عقودًا من الصخر المنحوت وكان المؤمنون يتوضأون بمياه الحوض قبيل أداء الصلاة [5].

---

[1]السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق ،ص390.

[2]أبي عبد الله البكري ، **المسالك والممالك** ،تح: د. جمال طلبة ،ج1، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ،2003م، ص388.

[3]أبي عبد الله الحميري ، المرجع السابق ،ص155.

[4]الكوى :هو فتحة صغيرة نافذة في سور أو جدار لإدخال الهواء والنور ، وقد اعتاد المعمار المسلم أن يجعل هذه الكوات عادة في الأجزاء العلوية من الجدران حتى لا تكون سببا في كشف عورات الناس .ينظر :عاصم محمد رزق ، المعجم السابق ،ص257.

[5]كارل بروكلمان ، **تاريخ الشعوب الإسلامية** ،تر: نبيه أمين فارس ،منير البعلبكي ،ط5،دار العلم للملايين ،بيروت ،1968،ص296.

عدد سواري[1] البلاطات مائتا سارية يشرع منها إلى الصحن ، وتحت كل منكب سارية ، جميعها اثنان وعشرون سارية ، وفي السقائف في كل سقيفة تسع عشر سقيفة ، وفي الفوارة اثنتا عشر سارية ، وفي بيت المال أربع سواري [2].

كانت أعمدة المسجد مؤخوذة من الكنائس الرومانية والقوطية من الرخام الأسود المجزع بالأبيض و رؤوسها من نوع الكورنيثي ، وتمتاز تيجان أعمدة بأوراقها ولفائفها الملساء ،أما الدعائم العليا التي تقوم فوق الأعمدة بالبلاط الأوسط فتتميز بأنها مثمنة الشكل ومغطاة بزخارف هندسية محفورة بالجص ، أما نظائرها من البلاطات الأخرى فعارية من الزخرفة ، كما أن العقد نصف الدائري والعقد المتجاوز لنصف الدائرة يسيطران على جميع عقود المسجد الجامع بقرطبة، نلاحظ أن تكوين العقد في بيت الصلاة القديم يسجل استمرار للتقاليد الإسبانية القوطية ،كما أن العقد باب سان استيبان هو أول عقد إسلامي التكوين إذ تحرر من التقاليد القوطية ، ثم تعرض العقد المتجاوز أو المنفوخ في عصر الخلافة لتطور سريع فإن توزيع السنجات[3] في العقد ، وإذا كان العقد المنفوخ أو المتجاوز يسود كله في الجامع ، فإن استعمال العقد نصف الدائري كان أقل بكثير ، واقتصر استخدامه فقط على العقود العليا التي تحل الأسقف الخشبية [4].

يظهر العقد الثلاثي الفصوص لأول مرة في الجامع مختلطا بالزخرفة في النافذة اليمنى من باب سان استيبان ويزين هذا العقد وجه المحراب ، أما العقود المتعددة الفصوص تزين بها اللوحات المسطحة بسقفه الخشبي وجوائز سقفه {الكتل الخشبية التي تثبت فيها اللوحات المسطحة }، ورؤوس خماسية الفصوص التي تؤلف الطابق الأدنى من قاعدة المحراب تربط العقود السفلى بالعقود العليا المنفوخة أو المفصصة ، وهناك نوع آخر من العقود وهو العقد ذو اللفائف ، وهو العقد المدبب مزود في بطنه بلفائف عديدة متصلة يوجد هذا النوع من العقد في الأسطوانين التاليين للعقدين المجاورين للمحراب شرقا وغربا ، وهما الأسطوانان اللذان يحدان نهاية المقصورة ، بإضافة إلى العقد المنكسر ممثلا في

---

[1]السواري : سارية :وهي عمود من الرخام وجمعها سواري .ينظر :السيد عبد العزيز سالم ،**المساجد والقصور في الأندلس** ،ص17.

[2]ابن العذاري ، **نصوص عن الأندلس** ،تح: عبد العزيز الأهواني ، منشورات معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، اسبانيا ،د.س.ن، ص125.

[3]السنجات :السنجة :هي عبارة عن قطع حجرية أو رخامية تستخدم في البناء واستخدم البناؤون في العقود المنبطحة والأعتاب الأفقية في النوافذ والأبواب عوضا عن العقود المقوسة أو المدببة .ينظر :عاصم رزق ،معجم السابق ، ص171.

[4]السيد عبد العزيز سالم ، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس** ، ص365.

العقد متعدد اللفائف لاسيما في العقود التي تعلو النوافذ الرخامية وأن تكوين هذا العقد يمكن أن تلمحه في العقد متعدد الفصوص أو العقود المنفوخة ، وأصل العقد المنكسر مشرقي كذلك و أمثلته الحجرية عديدة نشهدها في المنشآت الأموية مثل قبة الصخرة والجامع الأموي[1] .

حظي مسجد جامع قرطبة بالعناية جمالية بإدخال عناصر طبيعية حيوية تمثلت في حدائق بالرغم من التصميم الهندسي الذي كشف عن عبقرية المهندس والبناء الأندلسيين فإن لسحر الطبيعة حضورا قويا يترك أثرًا واضحًا على الزائر وهو يشاهد أشجار البرتقال {النارنج}على طول استطالة المسجد ، كما أن غراسة هذه الأشجار لم يكن بشكل عشوائي بل بطريقة منتظمة تسهل عملية سقيها ، ناهيك عن أنواع عديدة من النبات جلبت من هنا وهناك ، وإلى جانب البعد الطبيعي الحيوي لهذه الحدائق من حيث أنها تجعل النفس تستأنس بها وتتمتع بمناظرها ، فإن لها بعدا دينيا وهو محاكاة الجنة كما سبق ذكره ،فكأنما القائمون على إنشائها يريدون إيصال فكرة مفادها أن جزاء العبادة الخالصة لله هي الجنة[2] .

[1] المرجع السابق ، ص368، 371 .

[2] محمد عليلي ، المرجع السابق ، ص45.

III. تحول من مسجد الى كاتيدرائية :

ولقد حافظ جامع قرطبة على شكله هذا طيلة العصر الإسلامي ،و لم يشهد تغيير في نظام هندسة بناءه سوى الترميمات وبعض الإصلاحات الضرورية في عصري المرابطين والموحدين ، ولكن سقوط قرطبة على يد الملك فرناندو الثالث ملك قشتالة عام 1236م تحول هذا المسجد الجامع إلى كنيسة حملت اسم {سانتا ماريا}العظمى[1].

يرجع قصة تشويه مسجد قرطبة الجامع على هذا النحو المؤلم ، إلى أوائل القرن السادس عشر . ذلك أنه لما سقطت المدينة في أيدي النصارى ودخلها فاتحها سان فرناندو ملك قشتالة وأنشئ به هيكل مؤقت واستمر الجامع بحالته الأصلية ، واقتصر ملوك اسبان على إجراء تغييرات جزئية في أوضاع الجامع، وإنشاء المصليات والهياكل الصغيرة [2].

وفي سنة 1371م أقام ملك قشتالة الثاني المصلى الملكي المعروف بمصلى سان فرناندو بجوار قبة الضوء وقد غطيت جدران هذا المصلى بزخارف مدجنة محفورة في الجص لا تختلف في شيء عن زخارف قصر الحمراء وقصر إشبيلية ، ثم أقيمت عليه قبوة مقرنصة تتقاطع فيها الضلوع البارزة على مثال ضلوع قباب المسجد ، ويعتقد العالم الأثري دون ليوبولدو توريس بلباس أن هذه القبوة احدى قباب جامع القصبة بإشبيلية الذي اندثر منذ أمد بعيد [3].

وفي سنة 1384م أقيم مصلى سان أوجستين ، وتحول الأسطوان المقابل للمحراب إلى المصلى ، ومع ذلك فكل ما طرأ على الجامع حتى ذلك التاريخ لم يكن يزيد على إضافات طفيفة لم تمس جوهر البناء ، ولم تغير في نظامه أو تشوه من عمارته ، ولكن منذ القرن الخامس عشر بدأت تظهر بعض التغيرات الأساسية تغير بنية قسم كبير من الجامع[4].

---

[1] وديع أبو زيدون ، **تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة** ، ط1 ، الأهلية للنشر والتوزيع ،بيروت لبنان ، 2005،ص332،333.

[2] محمد عبد الله عنان ،المرجع السابق ، ص 25.

[3] السيد عبد العزيز سالم ، **المساجد والقصور في الأندلس** ، ص28.

[4] السيدعبد العزيز سالم ، **قرطبة حاضة الخلافة في الأندلس** ، ص351.

وفي سنة 1489م هدم الأسقف وعقود وأعمدة البلاطات الخمسة الممتدة طولاً من مصلى فيلافيسوسا حتى جدار الجامع الغربي ، وأسس جداريين طوليين رغبة في عمل مجاز يغطيه سقف خشبي قائم على عقود قوطية وكذلك هدم جانب كبير من زيادة عبد الرحمن الأوسط وزيادة المنصور لإقامة كاتدرائية قوطية الطراز في قلب الجامع شوهت البناء القديم [1].

أزيلت المقصورة وأقيم مكانها المصلى الكبير ، وكان يستخدم في ذلك صناع الذين يعرفون الطراز والزخارف العربية ، وذلك حرصا على شكل المسجد وطرازه ولكن الفن الأندلسي قد فقد كثيرا من قوته وروعته وهذا ما أثار نقد شديد من العلماء الأثريين الغربيين من إسبان وغيرهم ، وقد وصفه بعضهم بأنه أشنع عمل همجي ارتكب لتشويهه ، استمر صناع من اليهود والنصارى الذين تتلمذوا عليهم في القيام بأعمال الترميم والزخارف في المسجد عصورًا [2].

وفي سنة 1593م أزيلت منارة الجامع القديمة ، وأقيم فوق أنقاضها برج الأجراس على نمط يشبه المنارة وارتفاعه ثلاثون مترا وفي داخله سلم حجري سميك وقد أقيم فوقه تمثال رافائيل حامي المدينة [3]، وفي عام 1705م أقيم مصلى آخر يعرف بسانتا تريزا ، كما انتزعت أسقف الجامع الخشبية بعد أن تآكلت بفعل الزمن ، و أقيم بدلا عنها قبوات جصية في جميع بلاطات الجامع[4].

وفي القرن التاسع عشر أجريت في الجامع عدة إصلاحات منها ترميم المحراب ، وقام المهندس ريكاردو بلاسكث بوسكو بإصلاح مصلى فيلافسيوسا ، وأعاد وضع أسقف جامع قرطبة في البلاط الأوسط واستبدل ببلاط الجامع القديم المصنوع من الآجر بلاطًا من الرخام ،ثم رمم جميع واجهات الجامع من الخارج بأبوابها في عام 1909م[5].

---

[1] السيد عبد العزيز سالم ، **المساجد والقصور في الأندلس** ، ص28.

[2] محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص26.

[3] المرجع نفسه ، ص28.

[4] السيد عبد العزيز سالم ، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس** ، د.ط ، مؤسسة شباب الجامعة ، 1997م ، ص 399.

[5] المرجع نفسه ، ص399.

المبحث الثاني : جامع السليمانية

المطلب الأول : القانوني وسنان بين المهندس وسلطان .

المطلب الثاني: قصة بناء جامع السليمانية .

المطلب الثالث :العناصر المعمارية لجامع قرطبة .

المبحث الثاني: جامع السليمانية

يعد جامع السليمانية من أهم المعالم الموجودة في إسطنبول يتميز به الموقع كرمز للقوة ونفوذ العثمانيين، بني هذا الجامع في سنة 1551م في إسطنبول على يد المهندس والمعماري الكبير سنان باشا في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني لإظهار عظمة وقوة سلطته ، فهو إبداع الفن الإسلامي التركي الذي بلغ عصره الذهبي ، وقد تم بناء من بناؤه في غضون 7سنوات [1].

أراد السلطان القانوني تشييد مجمع عظيم يملأ صيته العالم ، فاستدعى المعماري سنان فور انتهائه من مجمع شاه زاده ، فسارع سنان يوم الجمعة موافقا لثالث عشر من يونيو عام 1550م، حيث حضر الحفل رجال الدولة وكان على رأسهم السلطان سليمان وجمع غفير من الناس ، ووضع حجر الأساس شيخ الإسلام "أبو السعود الأفندي ".[2]

I. القانوني وسنان بين المهندس و سلطان:

- **شخصية السلطان سليمان القانوني :**

ولد في طرابزون عام 1490م ، سمي سليمان تيمنا باسم سيدنا سليمان المذكور في القرآن الكريم في الآية رقم 30 من سورة النمل وكأن هذا الإسم يحمل معه البشارة بأن هذا الأمير سيجمع بين سلطنة الدنيا والعقبى ، أرسله والده "السلطان سليم" إلى إمارة "صاروخان "التي مركزها "مغنيسيا" ، وطلبت والدته من ولي عصره "سنبل أفندي" أن يرسل طلابه لتولي مسألة تربية "الأمير سليمان " من ناحية الخبرة الإدارية ليدير بها هذه الإمبراطورية ،كما فعل الشيخ "أدبالي" وأعد " السلطان عثمان الغازي " ليكون أساس الدولة العالمية ماديا ومعنويا [3].

ارتقى العرش السلطنة وهو في السادسة والعشرين من عمره ، وهو عاشر سلاطين الدولة العثمانية وصاحب أطول مدة حكم خلفًا لأبيه السلطان سليم خان الأول وخلفه ابنه السلطان سليم الثاني، كان متأنيًا في جميع شؤونه ، ولا يتعجل في الأعمال التي يريد تنفيذها ، بل كان يفكر بعمق ثم يقرر، وإذا

---

[1] أحمد أبو زيد {**مجلة الروافد ، جامع السليمانية في أسطنبول الروعة والشموخ في العمارة الإسلامية**} ع.د 248، 1أفريل 2018،دائرة الثقافة ، حكومة الشارقة ، دولة الإمارات العربية المتحدة ،ص84.

[2] ألبجونج جان ، المرجع السابق ،ص108.

[3] المرجع نفسه ،ص197، 198.

اتخذ قرارًا لا يرجع عنه ، وعرف عند الغرب باسم سليمان العظيم ، وفي الشرق باسم سليمان القانوني لما قام بإصلاح في النظام القضائي العثماني[1].

كان عهد القانوني قمة العهود العثمانية سواء في الحركة الجهادية وفي الناحية المعمارية والعلمية والأدبية والعسكرية ، كان هذا السلطان يؤثر في السياسة الأوروبية تأثيرًا عظيمًا وبمعنى أوضح كان هو القوة العظمى دوليًا في زمنه ، نعمت الدولة العثمانية في عهده بالرخاء و الطمأنينة[2].

فتح القانوني رودس ، وبلغراد ثم حوصرت فيها عند فتح بودين ، وفي سنة 1535م ضمت بغداد كما هزمت إيران ، وفي هذه الفترة وقع تعيين الرايس خير الدين بربروس في وظيفة قبطان باشا على البحر المتوسط ، وقد ذاع صيته وجعل بربروس من البحر المتوسط بحيرة تركية بانتصاره في معركة "بروزه " المشهورة وبذلك وصلت مساحة الإمبراطورية في عهد القانوني ستة ملايين كيلومترًا مربعًا ، ومن المعروف أن الدولة العثمانية التي وصلت إلى أعلى مستويات الثروة والرفاهية ، قد قامت بنشاطات علمية كبيرة على نطاق واسع في عهد القانوني ، إذا كانت تدرس العلوم الدينية والفنية على أرقى المستويات في المدارس التي أنشأت حول جامع السليمانية [3].

- **شخصية سنان باشا :**

ولد سنان في قرية أغيرناص التابعة لمنطقة قيصري في إسطنبول والتي تسمى الآن سنان كوي أي قرية سنان ، وفي عام 1513م عندما كان عمره 24سنة أحضر إلى إسطنبول على أساس أنه دوشيرمة [4]، فأقام بدار إبراهيم باشا بميدان الخيول وبعد أن قضي مدة يشتغل عاملًا متدربًا صار ناظرا على أحسن مهندسي العصر وفي فترة قصيرة صار سنان الذي اكتسب ملكة فن البناء يلتحق بكل الغزوات

---

[1] سامي بن عبد الله المغلوث ، المرجع السابق ، ص 338.

[2] محمد حرب ، المرجع السابق ، ص 59.

[3] إبراهيم البيومي غانم ، **روح العمارة الدينية "أنموذج جامع السليمانية"** ، تر: رجب شنتورك ، د.ط ، الفرقان الإسلامية ، ص494.

[4] الدوشيرمة :هو مصطلح أطلق في العهد العثماني للدلالة على نظام جمع أولاد النصارى لتجنيدهم في الجيش الإنكشاري ، وقد كانوا يجمعون كل خمس سنوات مرة واحدة ، وكان جمع يتم عقب إصدار فرمان فيتم تجميعهم بمعرفة شيخ الضيعة أو المنطقة من الفتيان الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة وخمس عشر سنة .ينظر : حسان حلاق عباس صباغ ، **المعجم الجامع في المصطلحات** ، ط1، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، 1999،ص94.

التي يخرج إليها الجيش ، فوجد فرصة لرؤية الأبنية الأثرية الباقية من الحضارات القديمة وذلك الحملة على مصر وإيران[1] .

تقول إحدى المراجع أن هذا الفتى أخذ عنوة وفق نظام الدوشيرمة ليكون إنكشاريا عام 1512م وبعد انتهاء مدة تعليمه العسكري حارب كإنكشاري في حملة بلغراد عام 1521م وساهم في حملات سليم الأول على بلاد فارس والشام والعراق ومصر وزار البلقان والمجر وجنوب النمسا وأثناء حملة ملدافيا حظي بتقدير السلطان بعد أن أقام جسرًا فوق نهر بروت في ظرف 13يوما ثم بنى جسر آخر عبر الدانوب وهكذا كان اختياره كبيرا للمهندسين حتى بلغ سن الخمسين من عمره ،كان يفحص بعناية المنشآت في البلاد التي يزورها ويمزج بين الملاحظات و الأفكار المختلفة التي يلتقطها من هنا وهناك وبعض التقاليد المعمارية التركية [2].

أعطيت له صلاحية مراقبة كل أبنية الإمبراطورية بصفته مهندس ، وكذلك صلاحية عين على المشاة {بيادة[3] قمودادي }ثم على الجبهة بفضل الخدمات الكبيرة التي قدمها ، وأثناء الحملة على إيران ارتقى إلى رتبة {خاصة كي[4]} جزاء الخدمة التي قدمها في بناء السفن التي استخدمت للعبور كان جامع شاه زادا أول أثر ضخم بناه سنان 1548م سمي ذلك الجامع "إبداع العامل المتدرب " وفي 1550م شرع في بناء جامع السليمانية وسمي ذلك الجامع "إبداع المعاون" وبعدها بنى جامع السليمية بأدرنة وسمي "إبداع المعترف أو المعلم " وقد ترك سنان 48جامعا ،52مسجدًا ، 57مدرسة ، 7دور قراء، 35قصرا ، 8مخازن أي إن ما تركه من أعمال معمارية يقارب مجموعة 360 أثرا .وقد توفي وعمره 100سنة ، وتربته قرب جامع السليمانية وعلى حجر القبر يوجد طربوش {خاصة كي }

---

[11]إبراهيم البيومي غانم ، المرجع السابق ، ص495.

[2]أوكتاي آصلان ،**فنون الترك وعمائرهم** ، تر: أحمد محمد عيسى ، د.ط ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الثقافة الإسلامية ، إسطنبول ، 1987،ص195.

[3]بيادة :الراجل ، الماشي هي صفة للجنود المشاة مقابل الجنود الفرسان "السباهية" ينظر : حسان حلاق عباس صباغ ، المعجم السابق ، ص 46.

[4]خاصة كي : وفي الإصطلاح أطلقت في العهد المملوكي على جماعة من المماليك السلطانية يختارهم السلطان من مماليكه الأجلاب ، ويتميزون عن غيرهم من مماليك بحملهم سيوفهم إبان الخدمة ، وكثيرًا ماكانوا يتوجهون في المهمات السلطانية ويتأنقون في مركوبهم وملبوسهم وكان عددهم في بداية الأمر أربعة وعشرين ثم زادوا على الأربعمئة ، وقد تتمتع الخاصكية بمكانة كبيرة ، وكانوا يدخلون على السلطان في أوقات فراغه وفي خلواته بغير إذن ، وخصص لهم السلاطين الأرزاق الواسعة والعطايا الجزيلة . ينظر : سهيل صابان ، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية** ، مر: عبد الرزاق محمد حسن بركات ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، 2000، ص95.

يبين أنه آغا إنكشاري ، ومن المخطوطات المتعلقة بالمهندس المعماري سنان نرى أنه يميل إلى التصوف[1] .

[1]إبراهيم البيومي غانم ، المرجع السابق ، ص496.

II. قصة بناء جامع السليمانية:

تذكر الرواية في ذلك أن السلطان القانوني عندما قرر تأسيس هذا الجامع رأى في منامه النبي في منامه و قد أشار له الرسول إلى المكان الذي سيتم تأسيس المسجد فيه وقال له :ليتم وضع المحراب هنا والمنبر هنا والكرسي هنا " ثم بين له الرسول بعض التعليمات الخاصة بالعناصر الداخلية والخارجية للجامع ، استيقظ " السلطان القانوني " من نومه وهو في غاية الفرح ، فشكر الله تعالى وعيناه تفيضان بالدمع ، في اليوم التالي ذهب فورًا إلى المكان الذي أشار عليه الرسول وأمر باستدعاء "المعماري سنان" وكأنه كان ينتظر هذا الأمر من السلطان :" مولاي السلطان! سيكون بناء الجامع على مايلي ، سيكون المنبر هنا ، والمحراب هنا ، والكرسي هنا " وأشار إلى نفس الأماكن التي أشار إليها النبي في الرؤيا ، تبسم السلطان القانوني وقال لمعماري سنان "وكأنك على علم بالأمر !" ، أحنى رأسه بأدب وقال للسلطان " أنا كنت خلفك يا مولاي ! مظهرا أنه نفس الرؤيا ، فزاد هذا من سرور وسعادة "السلطان القانوني" ،وعلى الفور أمر بتأسيس الجامع[1].

لم يضع انتظار السلطان سليمان القانوني سدى ، فقد بدأ سنان في بناء مسجد السليمانية العظيم فوق ربوة تطل على القرن الذهبي ، واستمر العمل سبع سنوات ، وانتهت حيث بدأ في مسجد مهرماه 1557م وكان سنان قد تجاوز حينذاك الستين من عمره ، ووضع في هذا المسجد خلاصة فكره وابداعاته وقد تحول تماما إلى فكرة تخطيط المسجد ذي نصفي القبة ، حيث وصل إلى أنجح النسب لإقامة المسجد الجديد من خلال دراسة متأنية ودقيقة لكل من كنيسة آيا صوفيا ومسجد بايزيد معًا[2] .

كان يبدو على سنان وكأنه ينتظر هذا الأمر أمر على الفور بإعداد اللازم وبعد أن وضع حجر أساس بيد شيخ الإسلام "أبي السعود أفندي "[3] بدأ العمل في المسجد وبالرغم من قلة الإمكانيات في ذلك الوقت ، أظهر المعماري سنان في بناء هذا المسجد مهارة لامثيل لها تعكس عظمة العمارة العثمانية[4]

---

[1]عثمان نوري طوباش ، المرجع السابق ، ص444.

[2]الصفصافي ، المرجع السابق ، ص108.

[3]أبي السعود أفندي :هو محمد بن محي الدين محمد ،هو فقّيه وقاضي مسلم ، تولى عدة مناصب منها شّيخ الإسلام ، صادق على "قانون نامة" للقانوني ،لقب ب "خطّيب المفسرّين".ينظر :عاشق جلبي ،ذّيل الشقائق النعمانّية فّي علماء الدولة العثمانّية ،تح وتق :عبد الرازق بركات ،دار الهدايّة،القاهرة2007،م،ص128.

[4]عثمان نوري طوباش، المرجع السابق ،ص444.

اشتمل مجمع سليمان القانوني على أكبر ، وأول جامعة منذ زمن محمد الفاتح ، كان قد اشتمل على ثمانية عشر مبنى ، إلى جانب ما هنالك من أضرحة ونسق كل هذا بأسلوب جديد وبمفهوم واع لنظريات بناء المدن وتخطيطها من جوهر فكرته كان الاستفادة من مدرجات الربوة بطريقة مثلى[1] ، وقد أتى المعماري سنان بالأعمدة الأربعة الكبيرة المطلوبة للجامع من "الإسكندرية "ثم "بعلبك" ثم" سراي العامرة" ثم "قيز طاشي " أما الرخام الأبيض الذي استخدم في البناء فكان من "جزيرة مرمرة" والرخام الأخضر فكان من بلاد العرب ، وكانت الأبواب من أخشاب الأبانوس ، والحوائط من خزف إزنيك ،كما خط الخطاط "القره حصاري" وتلميذه خطوط الجميلة الموجودة داخل الجامع ، ويقال أن القره حصاري الذي كتب الخطوط الشريفة الموجودة بقية الجامع ، أظهر فيها عناية كبيرة بحسن الخط وهو ما كان قطعة من عظمة البناء حتى أنه فقد بصره مع آخر كتبه في القبة[2] .

أما المعماري سنان الذي جمع الدهاة مثل "قره حصاري" ووطد في هذا الجامع الذي لامثيل له الأصالة والسكون متداخلا وأظهر أسلوبًا متناغمًا وبسيطًا ، وقد نجح في إعطاء شكل متناغم ومتكامل للقبة المركزية وما حولها من قباب ، حيث أن البناء يرتفع تدريجيًا من الأرض ، وينغلق في النهاية على بناء واحد عظيم ، يعد جامع السليمانية سلسلة من الرقة والمعنى المتميز في الجمال الذي لا حدود له ، والذي يرمز إلى الوصول من البناء الكبير المتفرع إلى البناء الواحد أي إلى الوحدانية التي هي رمز الألوهية ، ومن الواحد إلى التفرع مرة أخرى لأن أي عنصر في آثار المعماري سنان النتي لاتمحو وجود أي عنصر آخر في البناء وذلك لأن كل عنصر يعرض جماله داخل منظومة متكاملة وتبرز هذه الخاصية في أعمال سنان التي تعرض جهودًا وذكاء يفوق الإنسان [3].

لقد صنع سنان منظرا مشرقًا وفسيحًا مستغلا الإضاءة الطبيعية بوفرة في الأروقة السليمانية ، فبنى مسجدًا مفعمًا بالحياة يقدم لمن يدخله السعادة ونشوة الحياة ، عندما زار "تشارلز ديهل " العالم

[1] الصفصافي ، المرجع السابق ، ص 108.

[2] عثمان نوري طوباش ، المرجع السابق ، ص445.

[3] المرجع نفسه ، ص445.

البيزنطي الشهير جامع السليمانية لم يستطع تمالك نفسه وقال :" عظمة فريد نوعها ، ومقدرة خارقة ، إن للسليمانية سحرًا يفوق "آيا صوفيا "[1].

ولقد قام هذا الجامع بدور حضاري متميز طوال فترة قيام الإمبراطورية العثمانية ، ومازال يقف شامخًا، شاهدا على روعة الحضارة ، ويجعل المخلصون من أبناء هذه الأمة مرتبطون دائمًا بماضيهم المشرق ، متطلعين إلى مستقبل أكثر إشراقًا تطوراً[2].

يصف سنان افتتاح جامع السليمانية في كتابه" تذكرة البنيان" قائلا:غادر السلطان قصره يوم الجمعة الخامس عشر من أكتوبر عام1557م ، وطلت طلعته البهية فسلمته بيده النبيلة الميمونة مفاتيح الجامع المبارك وأنا ابتهل إلى الله ، دعوت وأسلبت يدي احتراما وانتظرت فالتفت صاحب السعادة إلى "أوضة باشي " [3]فورا وقال : فمن الأولى والأحق يفتح الجامع ؟ فأجاب مدير المراسم : مولاي السلطان خادمكم سنان شيخ جليل ، وقد بذل في هذا الامر أقصى الجهد، كأنه لقمان حكيم في همته ، فقال مولانا السلطان : أخي العزيز أقبل فمن الأفضل أن تفتتح أنت بيت الله بإخلاص والدعاء والتضرع إليه . وأعطاني المفتاح وراح يدعو لي ويثني علي فتحت الباب قائلا : يا فتاح ... ونلت من السلطان إحسانا ورعاية لا يوصفان[4].

III. الجوانب المعمارية المزينة لجامع السليمانية :

قام المعماري سنان عام 1550م ، بإنشاء جامع السليمانية ضمن مجمع السليمانية الكبير في مدينة إسطنبول ، بطلب من سليمان القانوني ، وحاول سنان جاهدًا في أن يقدم تصميمًا جديدًا وجريئًا من حيث النسب والأسلوب ، وبمفهوم واع لنظريات البناء ، خاصة بعد أن تجاوز الستين من عمره ، وبعد قيامه بتشييد عدد من الجوامع ، ودراسته المتأنية والدقيقة للأسلوب الذي شيدت عليه كنيسة آيا صوفيا وجامع بايزيد ، ليحقق نجاحا جديدا في عمارة المساجد ، وليكسب رضا السلطان سليمان

[1]جان ألبجونج ، المرجع السابق ، ص 108.

[2]الصفصافي ، المرجع السابق ، ص109.

[3]أوضة باشي : ضابط في تشكّل الإنكشارية ،كانت وظّيفته تنظّيم وتوجّه المراسم الاحتفالية في المواكب. ينظر : ألبجونج ، المرجع السابق، ص107

[4]جان البجونج ، المرجع السابق ، ص107.

القانوني ، فقام سنان باختيار موقع مرتفع وعلى ربوة مشرفة على القرن الذهبي ، ليتحول مجمع السليمانية إلى أكبر و أول جامعة زمن محمد الفاتح ، وقد استغرق تشييد المجمع سبع سنوات[1].

استمد الوحي في تخطيطه من مسجد آيا صوفيا ولكنه استطاع أن يتفوق في عمله على هذا المسجد ، وقد شيده على رقعة فسيحة من الأرض تقع إلى الشمال من قصر طوبقابو[2]، واستخدم في بناءه بعض المواد المعمارية القديمة التي نقلت من خرائب بعض الكنائس التي كانت قائمة في تلك المنطقة وقد جعل للصحن بابا عظيما على الطراز الفارسي وضعه في مقابل المحراب ، وأقام فوق زوايا الصحن الأربع مآذن، توج المسجد نفسه بقبة فخمة تقوم على أربعة أساطين عظيمة ، وهي تزيد في الارتفاع على قبة أيا صوفيا بمقدار خمسة أمتار ، وقد كسيت جدران المسجد من الداخل بالرخام المتعدد الألوان وكسى جدار القبلة بالقاشاني[3] الإيراني الجميل [4].

قام بزخرفة الشبابيك جدار القبلة إلى أشهر النقاشيين على الرخام في ذلك العصر "سرقوس إبراهيم"الذي استطاع أن يجعل من هذه الشبابيك قطعا فنية رائعة ، وتعتبر تربة السلطان سليمان الملحقة بهذا المسجد من أروع قطع العمارة فجدرانها مغطاة بألواح الرخام المنقوش وبها كذلك ألواح القاشاني ذات الكتابات العربية الجميلة ،وقد افتتح السلطان سليمان هذا المسجد افتتاحا رسميا ، وكان المهندس سنان بين الحاضريين وقد أثنى عليه السلطان وسلمه المفتاح الذهبي للمسجد تقديرا لعمله الجليل [5].

سميت الساحة الخارجية بالحرم الثاني حيث يمكن رؤية الجامع من زواياه المختلفة من هذا الحرم ، ويتوسط البناء المحيط بالجامع من ثلاث جهات مشكلا ساحة واسعة ، أما الفناء الداخلي للجامع واسعة يكسوها المرمر ، ويحيط بهذا الفناء رواق ذو 28 قبة ، أقواس القبة مستقرة على 24 عامود ،

---

[1] محمود زين العابدين ، **عمارة المساجد العثمانية** ، ط1،دار قابس ، لبنان بيروت، 2006، ص52.

[2] طوبقابو سراي : من "طوب" بمعنى المدفع و "قابو" بمعنى الباب و"سراي" بمعنى القصر .وهو أحد أشهر قصور السلاطين العثمانيين في إسطنبول ، وهو الآن أحد أشهر المتاحف الإسلامية بتركية . ينظر : حسان حلاق عباس الصباغ ، **المعجم الجامع في المصطلحات** ، ص138.

[3] قاشاني : نوع من الخزف الملون منسوب لمدينة قاشان الإيرانية ، ويستعمل في تزيين الجدران والقباب والمآذن والمحاريب ويغلب عليها اللون الأزرق . ينظر : المعجم نفسه ، ص168.

[4] محمد عبد العزيز مرزوق ، **الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني** ، د.ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1987، ص45.

[5] محمد عبد العزيز مرزوق ، المرجع السابق ، ص45.

منها 12 عامودًا من الجرانيتي الوردي ، و 10 منها المرمر الأبيض ، وعامودان من المرمر السماقي[1] .

صمم الموضأ من المرمر الأبيض ، فصار عنصرًا معماريًا لا مثيل له ، إذا بناه المهندس المعماري سنان على شكل مقصورة المؤذن بالفناء الداخلي للجامع . وصارت مصدر الدفئ والصوت . وفي قسم الخاتمة المسالك " بتشبيه بالأوصاف تتعلق بالجنة [2].

تستند القبة الرئيسية للجامع على أربعة أعمدة كبيرة تسمى " أرجل الفيل " ولقد أنشأ المهندس المعماري سنان بفن راقي هذه الأعمدة الكبيرة التي تبلغ مساحة كل واحد منها مساحة مسجد صغير ، وأعطاها منظرا جميلا بطراز ظريف يسر الرائي ، يبلغ قطر القبة الرئيسية 62 مترا ، وارتفاعها 53مترا ، وهي أكثر القباب ارتفاعًا آيا صوفيا ، ترتكز القبة على أربع دعامات ضخمة ولزيادة اتساعها من ناحية المدخل والقبلة أضيف لهما نصف القبة من كل ناحية بارتفاع 40مترا ، أما المساحتان الموجودتان إلى اليمين واليسار فقد غطيت كل منهما بخمس قباب ،فقد عمد سنان إلى ابتكار جذاب غير مألوف يتخلص في تبادل بين قبة صغيرة وأخرى كبيرة حسب المساحة[3] .

أما عن مآذن الجامع فهي أربع كل منها في زاوبة لأنها نهضت فوق زوايا الصحن الأمامي[4]، الأثنتان الموجودتان في الواجهة الأمامية قصيرتان نسبيا ، فكل واحد منها شرفتان والأخريانفي الجانب الآخر أكثرا طولا وفي كل منها ثلاث شرفات ، وعدد منارات يرمز إلى أن سليمان القانوني هو رابع سلاطين العثمانيين منذ فتح القسطنطنية ، أما الشرفات العشر التي هي مجموع ما في المآذن الأربع فترمز إلى أن السلطان سليمان القانوني عاشر سلاطين آل عثمان منذ تأسيس الدولة العثمانية [5] .

توجد ساحة كبيرة خارجية بجانب الساحة الداخلية للجامع ويفتح على تلك المساحة أحد عشر بابا تسمى بتوالي : باب المرعى ، باب القصر القديم ، باب المكتب ، باب السوق ، باب كبير الحكماء

---

[1]رجب شنتروك ، المرجع السابق ، ص 499.

[2]نفسه ، ص500

[3]محمود زين العابدين ،المرجع السابق ، ص51 .

[4]كارل بروكلمان ، **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، ط5، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1968م ، ص 455

[5]نسيبة عبد العزيز الحاج علاوي ،**المعمار العثمانً سنان{1489 1588}**م "مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية "، ع،2الموصل، 2010م، ص233 .

، باب العمارة ، باب القبة ، باب دار المطبع ، باب الأغا ، باب الحرم ، وأما الفناء الداخلي للجامع فله ثلاثة أبواب أحدها باب الجملة ، والأخران جانبيان ويمكن الدخول إلى الجامع من ثلاثة أبواب وأبواب الرئيسية والنوافذ مرصعة بالصدف والعاج وتشكل آية في جمال ، ينير الجامع الذي يبلغ طوله 59مترا وعرضه 58مترا 137 نافذة ، ويشبه المعماري سنان أشعة الشمس التي تدخل من الزجاج الملون بريش جناح جبرئيل عليه السلام ، والنوافذ الملونة الموجودة على المحراب هي من آثار الأستاذ إبراهيم معروف في ذلك العصر[1] .

تقع المقصورة السلطان عن يسار المحراب وهي المستندة على ثمانية أعمدة من الجرانيت والمرمر , ولكن الدخول إلى هذا المكان من الخارج يكون عبر باب خاص . وكان السلطان يصلي به لتوفيير الأمن والسكينة له بسهولة ، لا لأي غرض آخر . يوجد هنا محراب أيضا ، أما مقصورة المؤذنين فهي بجانب المنبر ، وهي على 18عمود مرمر ، ويوجد في غير هذا المكان عدد من الأماكن التكبير في مواضع مختلفة من الجامع[2] .

لقد تم بناء كل من المنبر والمحراب من المرمر بأسلوب غاية في الجمال ، وزين إطار المحراب بالبلاط الصيني الجميل أما داخله فإنه بعيد عن التزيين للغاية ، كان الجامع يضيئ ليلًا بالقناديل والشموع قبل استخدام الكهرباء . وكان دخان القناديل والشموع يتجمع بعد أن يرتفع قليلًا بغرفة الدخان الكائنة أعلى باب المقابل للمحراب دون أن يلوث الجامع من داخله ، وبفضل نظام التهوية الحساس في الجامع، فقد كان الدخان المجنمع في الغرفة يستعمل في ذلك العصر لصناعة الحبر، كما يلفت النظر تعليق عدد من بيوض النعامة بجانب القناديل ، وقد علقت هذه البيوض لمنع العنكبوت عن دخول الجامع ونسج الشبكات فيه لذا نرى شبكات العنكبوت في الداخل [3].

تبين أسس جامع السليمانية فخامة كبيرة بقدر كل العناصر الأخرى الموجودة في الجامع ، فالأسس في الجامع على شكل نظام الشبكة التي يمكن السير فيها ، وتسيير المياه من تلك الطرق إلى الخزانات التي توزع المياه على كل مشتملات المسجد وفي الأقسام الوسطى الجامع المنافذ ذات

[1] رجب شنتورك ، المرجع السابق ،ص 500.
[2] نفسه ، ص 501.
[3] رجب شنتورك ، المرجع السابق ، ص 503.

أغطية خشبية على تلك المجاري المائية ، فأمن المعمار سنان بذلك نظام التكييف أي التبريد والتدفئة للجامع كما أن هذا الشكل للأساسات يعمل على تأمين الجامع ضد الزلازل[1].

بالإضافة إلى ذلك فقد اعتنى المعماري سنان بخارج المبنى اعتنائه بالداخل حيث كان يتميز خارج المبنى بالتنوع مما يعطي شعورًا قويًا بالوحدة والإنسجام بحيث لا يمكن تغيير أي جزء من مكانه دون احداث تشويه واضح ، وقد أقيم هذا البناء الضخم على مساحة من الأرض أما تكلفة البناء فقد كانت35مليون آقجة[2] .

حيث تكون المجمع من دار الإطعام الفقراء ، دار الثقافة ، بيمارستان ، مدرسة الطب وحمام وكتاب للصبية ، وأربع مدارس عالية ، وعدد كبير من الحوانيت بإضافة إلى وجود مقبرة تضم ضريحين كبيرين للسلطان سليمان القانوني وزوجته روكسلانة [3].

[1]طوباش ، المرجع السابق ، ص 450

[2]نفسه ،ص 455.

[3]علاوي ، المرجع السابق ، ص242.

المبحث الثالث : نقاط تقارب بين جامع قرطبة والسليمانية

المطلب الأول : الواجهات الداخلية .

المطلب الثاني : الواجهات الخارجية.

المبحث الثالث: نقاط تقارب بين جامع قرطبة والسليمانية

يتميز جامع قرطبة والسليمانية كلاهما بتراث معماري وفني غني بمختلف الحضارات التي احتكت بها ، ولهما أهمية كبيرة في تاريخ الدولة الإسلامية ، بالرغم من اختلاف الحضارات كل منهما في حقبة زمنية مختلفة إلا أن هناك بعض التقارب أو التشابه في العناصر المعمارية لكلتا الجامعان .

I. الواجهات الخارجية:

يتميز قباب مسجد جامع قرطبة بقبة كبيرة قائمة على هيكل الضلوع البارزة المتقاطعة ثم حوطها بقبتيين جانبيتين بإضافة إلى وجود بابين معقودين على جانبي المحراب مماثلة للعقد المحراب ،إضفاء مهندسو بإقامة قبة الضوء لتتعدد نوافذها ودخول الضوء ، وتقوم القباب على عقود نصف دائرية بارزة تتقاطع فيما بينها اشكالا نجمية مضلعة [1]مع ترك فراغ في الوسط مثمن الشكل في القباب الثلاث المتجاورة بالمقصورة ومربع الشكل في قبة الضوء تشغله قبة مفصصة تطبق هذه الفراغات على جميع القباب باستثناء قبة المحراب التي كسيت بالفسيفساء وزخارف النباتية البارزة ، أما بالنسبة لجامع السليمانية بإسطنبول حيث تستند القبة الرئسية للجامع على أربعة أعمدة كبيرة تبلغ مساحة كل واحد منها مساحة مسجد صغير وترتكز على دعامات ضخمة ولزيادة اتساعها من ناحية المدخل والقبلة أما الساحتان الموجوداتان إلى اليمين واليسار فقد غطت كل منهما بخمس قباب [2] .

أما عن المآذن جامع السليمانية فقد كانت أربع كل منها في زاوية ، الاثنتان الموجودتان في الواجهة الأمامية فكل واحد منها في شرفتان والأخريان في الجانب الآخر كل منها ثلاث شرفات[3] ، وفي جامع قرطبة أحدهم في الجانب الغربي والثاني في الشرقي ، إذا افترق الصاعدان أسفل الصومعة لم يجتمعا إلا إذا وصلا الأعلى منقوش من وجه الأرض إلى أعلى الصومعة[4].

حظي مسجد جامع قرطبة بالعناية جمالية بإدخال عناصر طبيعية حيوية تمثلت في حدائق بالرغم من التصميم الهندسي الذي كشف عن عبقرية المهندس والبناء الأندلسيين فإن لسحر الطبيعة حضورا قويا يترك أثرًا واضحًا على الزائر وهو يشاهد أشجار البرتقال {النارنج}على طول استطالة المسجد ، كما أن

[1] السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، ص379

[2] محمود زين العابدين ، المرجع السابق ،ص 51

[3] محمد عبد العزيز مرزوق ، المرجع السابق ، ص45

[4] السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 62

غراسة هذه الأشجار لم يكن بشكل عشوائي بل بطريقة منتظمة تسهل عملية سقيها ، ناهيك عن أنواع عديدة من النبات جلبت من هنا وهناك ، وإلى جانب البعد الطبيعي الحيوي لهذه الحدائق من حيث أنها تجعل النفس تستأنس بها وتتمتع بمناظرها ، فإن لها بعدا دينيا وهو محاكاة الجنة كما سبق ذكره ،فكأنما القائمون على إنشائها يريدون إيصال فكرة مفادها أن جزاء العبادة الخالصة لله هي الجنة[1] .

للجامع السليمانية توجد ساحة خارجية كبيرة بجانب الساحة الداخلية ويفتح على تلك الساحة أحد عشر بابا تسمى بتوالي : باب المرعى ، باب القصر القديم ، باب المكتب ، باب السوق ، باب كبير الحكماء ، باب العمارة ، باب القبة ، باب دار المطبع ، باب الأغا ، باب الحرم، وأما الفناء الداخلي للجامع فله ثلاثة أبواب أحدها باب الجملة ، والأخران جانبيان ويمكن الدخول إلى الجامع من ثلاثة أبواب وأبواب الرئيسية والنوافذ مرصعة بالصدف والعاج وتشكل آية في جمال ، ينير الجامع الذي يبلغ طوله 59مترا وعرضه 58مترا 137 نافذة ، ويشبه المعماري سنان أشعة الشمس التي تدخل من الزجاج الملون بريش جناح جبرئيل عليه السلام ، والنوافذ الملونة الموجودة على المحراب هي من آثار الأستاذ إبراهيم معروف في ذلك العصر[2].

وفي جامع قرطبة كان يحيط بالجامع سور يتراوح ارتفاعه مابين مترين وثلاثة أمتار، وكان يمتد في شكل مستطيل من الشمال إلى الجنوب ،وقد توجته شرفات عالية ؛وكان المصلون يدخلون الجامع من واحد وعشرين بابًا زينت جميعًا بالنحاس الأصفر المخرم وكانت النوافذ والكوى[3] التي تشبه المحاريب القائمة إلى جنباتها والحائط التي تشبه الأبراج تزين واجهة الجامع ، والواقع أن عدد قليلاً من أبواب الجامع خصص للنساء ؛وكان في وسطها حوض قامت حوله أعمدة تحمل عقودًا من الصخر المنحوت وكان المؤمنون يتوضأون بمياه الحوض قبيل أداء الصلاة[4].

[1] محمد عليلي ، المرجع السابق ، ص45.

2

4

II. الواجهات الداخلية :

تم بناء كل من المنبر والمحراب جامع السليمانية من المرمر بأسلوب غاية في الجمال ، وزين إطار المحراب بالبلاط الصيني الجميل أما داخله فإنه بعيد عن التزيين للغاية ، كان الجامع يضيئ ليلًا بالقناديل والشموع قبل استخدام الكهرباء . وكان دخان القناديل والشموع يتجمع بعد أن يرتفع قليلًا بغرفة الدخان الكائنة أعلى باب المقابل للمحراب دون أن يلوث الجامع من داخله ، وبفضل نظام التهوية الحساس في الجامع، فقد كان الدخان المجنمع في الغرفة يستعمل في ذلك العصر لصناعة الحبر، كما يلفت النظر تعليق عدد من بيوض النعامة بجانب القناديل ، وقد علقت هذه البيوض لمنع العنكبوت عن دخول الجامع ونسج الشبكات فيه لذا نرى شبكات العنكبوت في الداخل[1].

أما محراب جامع قرطبة فيبلغ طوله من القبلة إلى الجوف ثمانية أذرع ونصف ، وارتفاع قبوه ثلاثة عشر ذراعا ونصف ذراع ، وسقف القبو من رخامة بيضاء منقورة بالحديد وهو مثمن البنيان من داخله ، مكسوة جوانبه بثمانية ألواح من الرخام طول كل لوح منها ثمانية أذرع وعرض ستة أشبار وعرض اللوحين الباقين ثلاثة أشبار إلى موضع الرف المستدير على رؤوس الألواح المعمول بالرخام وأرضه مفروشة بالرخام الأبيض في عتبة بابه لوح رخام أبيض طوله اثنا عشرا شبرًا ، وعرضه أربعة أشبار وجدار المحراب ومايليه قد أجرى فيه الذهب على الفسيفساء[2].

و مقصورته طولها من القبلة إلى الجوف ستة وخمسون ذراعا وعرضها من الشرق إلى الغرب أربعة وعشرون ذراعًا ، وكان بابها من ذهب مضروب ، وعضادتاه عودان من أبنوس ، طوله وأوصاله من فضة، أما بالنسبة لمنبره عود مؤلف من الصندل الأحمر والأصفر والأبنوس والعود الرطب والمرجان ، وأوصاله من فضة ، ارتفاعه تسع درجات ، سعته أربعة أشبار ونصف شبر ، والذراعان الممتدان على جانبيه من أعلى الأدراج إلى أسفلها من أبنوس طول كل ذراع منهما ثمانية عشرا شبرًا [3].

وفي جامع السليمانية المقصورة السلطان عن يسار المحراب وهي المستندة على ثمانية أعمدة من الجرانيت والمرمر , ولكن الدخول إلى هذا المكان من الخارج يكون عبر باب خاص . وكان السلطان يصلي به لتوفيير الأمن والسكينة له بسهولة ، لا لأي غرض آخر . يوجد هنا محراب أيضا ، أما

[1]علاوي ، المرجع السابق ، ص 233
[2]الحميري ، المرجع السابق ، ص195
[3]البكري ، المرجع السابق ، ص388

مقصورة المؤذنين فهي بجانب المنبر ، وهي على 18عمود مرمر ، ويوجد في غير هذا المكان عدد من الأماكن التكبير في مواضع مختلفة من الجامع[1] .

[1]رجب شنتورك ، المرجع السابق ، ص500.

الخاتمة

الخاتمة:

اهتمام الحكام الدولة الأموية بعمارة المسجد الجامع بقرطبة ، قد ساهم بشكل كبير في رفع قيمة هذه المعلمة الدينية من الناحتين البنائية والجمالية .

الوظيفة الدينية للمسجد الجامع ، تتكامل أدوار وظيفة أخرى ذات الصلة لاتقل أهمية عن الدور الأول ، ومعلوم أن المساجد الجامعة في الأقطار الإسلامية كانت تحظى بأهمية في مستوى قيمتها الدينية وإشعاعها العلمي .

كانت تدرس في رحاب المسجد الجامع علوم الدين واللغة ، وقد تتلمذ في أروقة الجامع أعدادًا كبيرة من طلاب العلم ،وتخرجت منه نخب من الدارسيين ، منهم من شغل مناصب هامة في وظائف رفيعة بالأندلس .

اهتمام واسع ودعم كبير لقته العمارة العثمانية من قبل السلاطين العثمانيين .

تميز جامع السليمانية بخصائص و مميزات انفردت بها عن غيرها من عمائر الدول التي عاصرتها ، عرفت بضخامة وشساعة من الناحية الشكل العمراني ، وتنوع الزخارف ما بين نباتية وهندسية وحيوانية.

استطاع المهندس المعماري سنان من استنباط أفكار و استكشاف أهم العناصر الحضارية من خلال حملاته مع السلاطين العثمانيين .

تميز العمارة الإسلامية بنظام القباب حيث نجده في مساجد والجوامع الإسلامية .

تأثر العمارة الإسلامية بالحضارات التي احتكت بها والبلاد التي فتحتها و تأثرت بالأساليب البيزنطية والفارسية.

الوحدة في الفن الإسلامي على الرغم من تعدد المراكز وبعد المواقع وذلك راجع للوحدة المنبع الأسس الفكرية للحضارة الإسلامية .

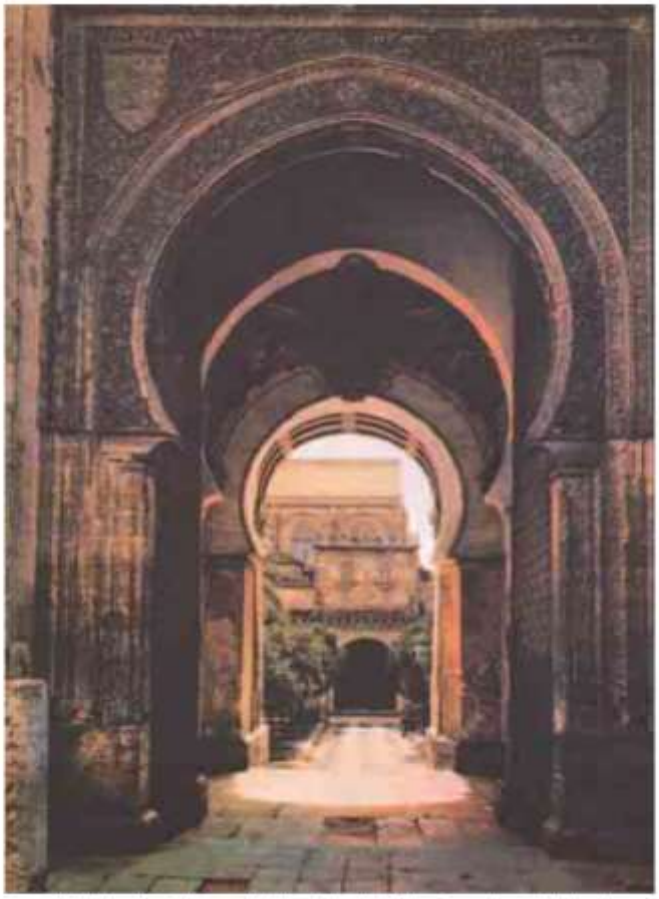
تعامل المسلمون بذكاء حضاري مع الثقافات الجديدة إذا أبقت عليها وأضافت إليها ولم تحاول طمس تلك الثقافات بل سميت بها وجهتها الواجهة الصحيحة من خلال أرضية القوية تتجه إلى هدف واحد .

استخدم المهندس المسلم الأعمدة المتنوعة وأدخل الفسيفساء ةالزخارف النباتية والهندسية، وذلك لإنعدام الصور والتماثيل في العمارة الإسلامية خاصة في المساجد واهتم بتصميم المعماري .

قائمة الملاحق

الملاحق:

العناصر المعمارية لجامع قرطبة



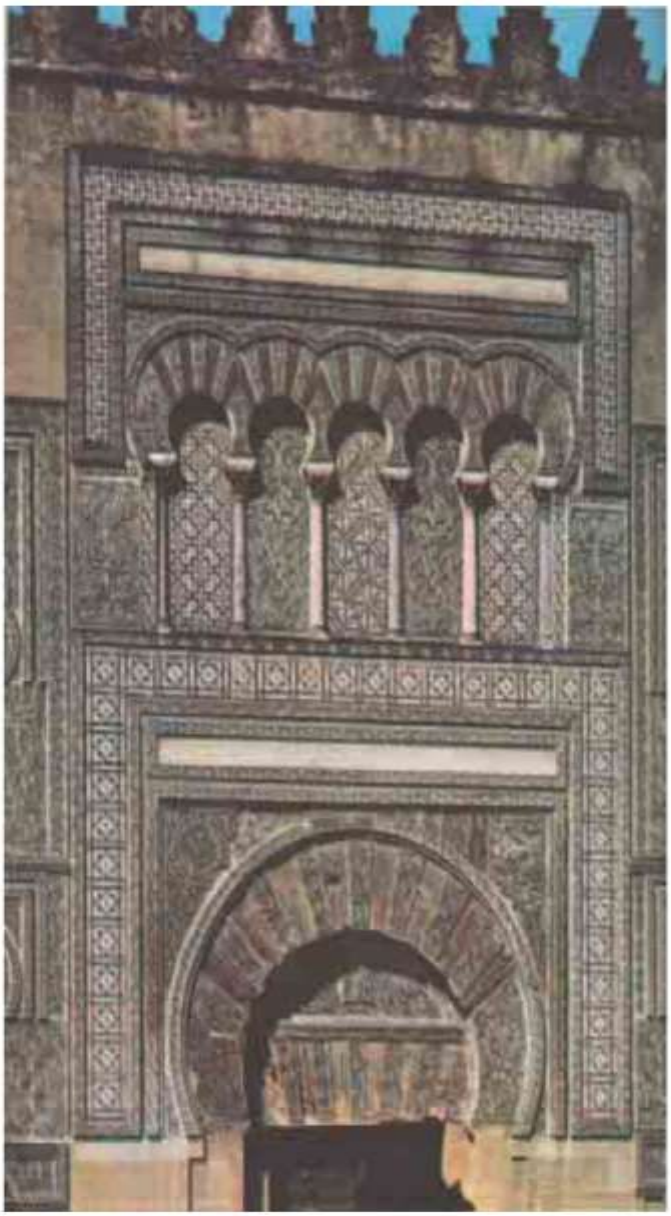
المدخل الرئيسي لمسجد قرطبة الجامع - المؤدي الى الصحن المزين بأشجار النارنج

الشكل 01: من كتاب

حسين مؤنس ، 1981ص336

المساجد ، عالم المعرفة ، يناير ،

:



مسجد قرطبة الجامع: باب المغفرة، البواية نفسها من طراز الخلافة

02 الشكل

من كتاب حسين مؤنس ، المساجد ،عالم المعرفة ، يناير، 1981

ص 337

الشكل 03

من كتاب حسين مؤنس ، المساجد ،عالم المعرفة ، 1981ص338 يناير،



العناصر المعمارية لجامع السليمانية :



الشكل 01

WWW.WIKIPEDIA.COM
ويكيبيديا ، جامع السليمانية 2024_06_22،

الشكل 02

WWW.WIKIPEDIA.COM
ويكيبيديا ، جامع السليمانية 2024_06_22،





الشكل 03

ويكيبيديا ، جامع السليمانية 22_06_2024، WWW.WIKIPEDIA.COM



الشكل 04

WWW.WIKIPEDIA.COM
ويكيبيديا ، جامع السليمانية 22_06_2024،

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر :

البكري ، المسالك والممالك تح د جمال طلبة ج1 دار الكتب العلمية بيروت لبنان 2003.

الحميري، صفة الأندلس عن الروض المعطار في خير الأقطار ط2 دار البديل بيروت لبنان 1989.

أبو زيدون وديع ، تاريخ الأندلس وديع أبو زيدون ، تاريخ الاندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة ، ط1.2005 ،عمان ،1 ،الأهلية للنشر والتوزيع ، الأردن

سالم عبد العزيز ، المساجد والقصور في الأندلس ،د.ط، مؤسسة شباب الجامعة ، اسكندرية م1986 ، مصر ،

المراجع :

أورتايلي ألبير، العثمانيون في ثلاث قارات تر :عبد القادر عبد اللي ، ط 1، بيروت ،لبنان ،الدار العربية للعلوم ناشرون ،2014

أصلان أوكتاي ، فنون الترك وعمائرهم تر أحمد محمد عيسى د ط مركز الأبحاث للتاريخ وفنون الثقافة الإسلامية إسطنبول 1987.

جان ألبجونج ، بصمات خالدة في التاريخ العثماني تر عبير الشناوي دار النيل للطباعة والنشر القاهرة 2015.

زين العابدين محمود ، عمارة المساجد العثمانية ط1 دار قابس لبنان بيروت 2006.

حرب محمد ، العثمانيون في التاريخ والحضارة د ط المركز المصري للدراسات العثمانية والبحوث العالم التركي القاهرة 1994.

الصفصافي أحمد المرسي ، إسطنبول عبق التاريخ وروعة الحضارة ط1 دار الآفاق العربية القاهرة 1990.

طوباش عثمان نوري ، العثمانيون رجالهم العظماء ومؤسساتهم الشامخة تر:د.محمد حرب ،مر:محمد أوقومش ، د.ط، دار الأرقم،إسطنبول ،2016م،.

بن عنان عبد الله ، الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ،ط

1997 ،مكتبة الخانجي ، القاهرة ،

عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني د ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1987.

عكاشة ثروت ، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ،دار الشروق ،د.ط ،بيروت ،

1994

عمرو إسماعيل محمد ، تخطيط المدن في العمارة الإسلامية فكر وفنون ،دار الكتب المصرية ،د.ط ،الجيزة القاهرة2019

كونل أرنست ، الفن الإسلامي من العصر الأموي إلى العثماني ، تر:د.أحمد موسى ،تق،مر: د.حسن عبد العزيز ، د.ط، وكالة الصحافة العربية ، القاهرة ، 2021

محمد عبد الجواد توفيق ، العمارة الأسلامية فكر وحضارة ،تق:د.سيد كريم ،د.ط،مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر1987

محمد عبد الجواد توفيق ، تاريخ العمارة والفنون في العصور المتوسطية والأوروبية والإسلامية

مارسييه جورج ، الفن الإسلامي ، تر : عبلة عبد الرازق ،مر :عاطف عبد السلام ، ط ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2016

حسين مؤنس ، المساجد ، عالم المعرفة ، يناير ، 1981مؤنس حسين ، المساجد

هلال جودة ، قرطبة في تاريخ الإسلامي د ط الهيئة المصرية للكتاب 1986.

المعاجم :

حلاق حسان ، المعجم الجامع للمصطلحات ط1 دار العلم للملايين بيروت لبنان سبتمبر 1999.

صبان سهيل ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية مر عبد الرزاق محمد حسن بركات مكتبة الملك فهد الوطنية 2000.

ابن المنظور ، لسان العرب ،تح: عبد الله علي وآخرون ،المجلد الرابع ،د.ط، دار المعارف ،مصر ،د.س،

خير الدين الزركري الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين ج3 ط15 دار العلم للملايين بيروت ماي 2002.

المذكرات :

سمية مشنتل ، فاطمة العزاوي ، مدرسة الفن المعماري في الدولة العثمانية مدرسة سنان باشا مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الدولة العثمانية ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة د.يحيى فارس ،2019،2020

Table des matières

المقدمة: .....أ

المبحث التمهيدي: العمارة الإسلامية الأندلسية العثمانية 16

I. الطراز الأندلسي : 18

II. الطراز العثماني : 20

المبحث الأول :جامع قرطبة 26

I. توسيعات عبد الرحمن الداخل وخلفائه : 27

II. العناصر المعمارية المزينة لمسجد جامع قرطبة : 32

III. تحول من مسجد الى كاتيدرائية : 37

المبحث الثاني: جامع السليمانية 40

I. القانوني وسنان بين المهندس و سلطان: 40

II. قصة بناء جامع السليمانية: 44

III. الجوانب المعمارية المزينة لجامع السليمانية : 46

المبحث الثالث: نقاط تقارب بين جامع قرطبة والسليمانية 52

I. الواجهات الخارجية: 52

II. الواجهات الداخلية : 54

الخاتمة: 57

الملاحق: 60

قائمة المصادر والمراجع : 66